

روائع الأدب العالمي للناشئين

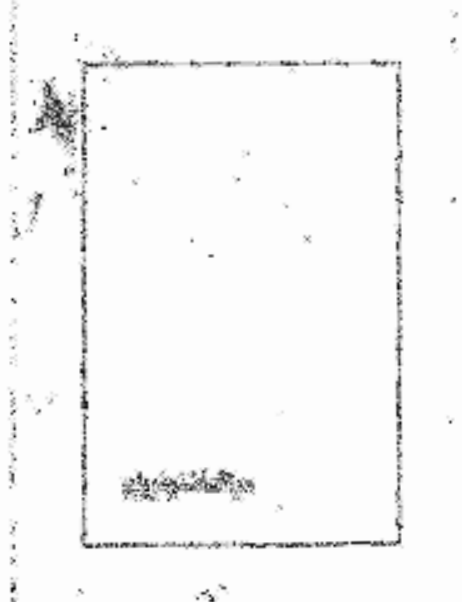
مَرْتَفَعَاتُ دَوْرِيْنَجْ

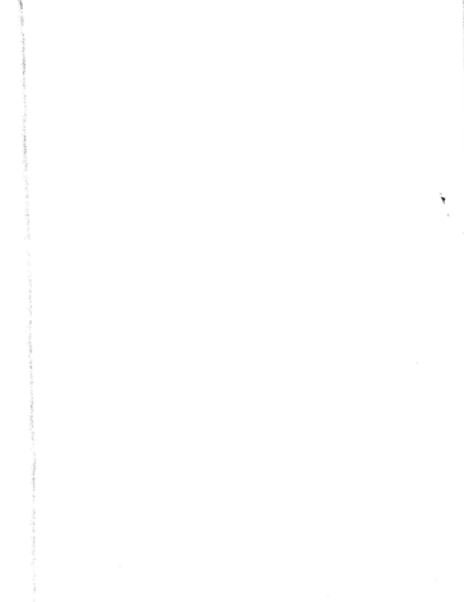
إميلى برونتي

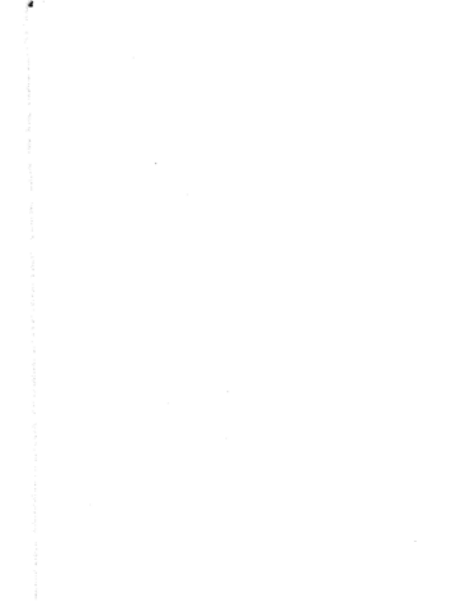


مرتفعات وذرینج
امیلی برونتی

ترجمة: صبری الفضل







على سبيل التقديم . . .

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر الواعد تقدم
صفحات متألفة من متعة الإبداع ونور المعرفة مصدر
القوة في عالم اليوم ..
صفحات تكشف عن ماضيها العريق وحاضرنا
الواعد وتستشرف مستقبلنا المشرق .

د. سمير سرحان

المؤلفة والكتاب

ولدت اميلي برونتي في ٣٠ يوليو عام ١٨١٨ في عائلة موهوبة ، رقيقة الحال ، وهي أخت شارلوت برونتي التي كتبت « جين اير » .

كان أبوها إيرلنديا يعمل راعيا بالكنيسة الانجليزية في هيوارث ، وهي منطقة منعزلة ، موحشة ، تقع بمقاطعة يوركشير ، التي ظل بها حتى وفاته .

تزوج من أمها عام ١٨١٢ . وقد توفيت عام ١٨٢٢ ، تاركة له أولادهما الستة : ماريا ، اليزابيث ، شارلوت ، باتريك برانويل ، اميلي وآن . وجعله هذا الوضع المتفاقم بالفقر وسوء الحظ مكتئبا صامتا كالقبور المجاورة

لمنزلهم المنقبض بالحزن • فهامت الأطفال فى البقاع ،
واخذوا يسلمون أنفسهم بالكتابة •

وكان فلاحو هذه المنطقة فى ذلك الوقت ، بعيدين
عن الحضارة ، غلاط القلوب ، عنيفين ، غير ودودين •
وانعكس حب اميلى لهذا الجزء من البلاد بجماله الحشن
ومعرفتها بأناسه فى « مرتفعات وذرينج » روايتها
الوحيدة ، التى ظهرت عام ١٨٤٧ فكانت كتابا فريدا
فى نوعه ومازال •

ولقد روع القارىء بالعواطف المتأججة فى مرتفعات
وذرينج ، لأنها عواطف متحررة من فساد الطبيعة
البشرية • • فالعاطفة هوى متأجج مهلك ، ولكنها مجردة
من أى تلوث مادى •

ويمكن القول بصفة عامة أن فى كتب الأخوات
برونتى : شارلوت ، واميلى وآن ، يتكلم اللسان من
خلال براءة القلب • وهن ككاتبات انجليزيات خلقن
شخصيات نابضة بالحياة ، وحولن الأفكار المستورة

أحداث القصة

مرتبة ترتيبا زمنيا

١٧٥٧ : مولد هندلى ايرنشو • تذهب والدته نبلى دين الى مرتفعات وذرينج كمربيه ، مصطحبة طفلتها معها

١٧٦٢ : مولد ادجار لنتون

١٧٦٥ : مولد كاترين ايرنشو

١٧٦٦ : مولد ايزابيللا لنتون

١٧٧١ : صيفا ، يحضر السيد ايرنشو الكبير ومعه الطفل هيثكليف من ليفربول •

١٧٧٣ : ربيعا ، تموت السيدة ايرنشو الكبيرة •

١٧٧٤ : يلتحق هندلى بالكلية •

١٧٨٤ : يناير ، مشاجرة بين ادجار وكاترين
وهيثكليف •

يفر هيثكليف مع ايزابيلا ، ويتزوجها •

ثاني مرض لكاترين •

مارس ، عودة هيثكليف وايزابيلا . هيثكليف
يزور كاترين •

٢٠ مارس ، وفاة كاترين ومولده ابنتها
كاترين •

٢٥ مارس ، دفن كاترين • وهيثكليف يزور
القبر •

٢٦ مارس ، ايزابيلا تهرب •

سبتمبر ، وفاة هندلي ، ويستحوز هيثكليف
على مرتفعات وذرينج •

أكتوبر ، مولده لنتون ابن هيثكليف
وايزابيلا •

١٧٩٧ : وفاة ايزابيللا

قيام كاتى بأول زيارة لمرتفعات وذرينج •
ادجار لنتون يحضر لنتون هيشكليف ، الذى
يطالب به أبوه

١٨٠٠ : ٢٠ مارس ، زيارة كاتى الثانية للمرتفعات •

تبادل الرسائل بين كاتى ولنتون هيشكليف
فى الحريف ، يصاب ادجار لنتون بالبرد
ويعرض •

أكتوبر ، زيارة كاتى الثالثة للمرتفعات
الأسابيع الثلاثة التالية ، تزور كاتى المرتفعات
سرا •

١٨٠١ : أغسطس ، تقابل كاتى ابن عمها لنتون فى
البقاع •

يحصل هيشكليف على كاتى فى المرتفعات
وتتزوج من لنتون •

سبتمبر ، وفاة ادجار لنتون. يزور هيشكليف
قبر كاترين مرة ثانية • ويصبح لنتون

هيشكليف ، كوريت ، مالكا لمزرعة تراش
كروس ولأراضى خاله وماله .

أكتوبر ، وفاة لنتون هيشكليف ، تؤول
ممتلكات لنتون الى أبيه هيشكليف .

نوفمبر ، يؤجر هيشكليف مزرعة تراش كروس
للسيد لوكوود لمدة سنة ، يقوم السيد
لوكوود بزيارة المرتفعات ويصبح مريضا .

١٨٠٢ : يناير ، يغادر السيد لوكوود مزرعة كروس
متوجها الى لندن .

تعود السيدة دين الى مرتفعات وذرينج .

الاثنين عيد الفصح ، كاتى وهيرتون يصبحها
صديقين .

ابريل ، وفاة هيشكليف .

سبتمبر ، يزور السيد لوكوود مزرعة تراش
كروس ، ومرتفعات وذرينج مرة ثانية .

١٨٠٣ : أول يناير ، يتزوج هيرتون إيرنشو من كاتى .

عائلة غريبة

(نوفمبر ١٨٠١)

يرويه السيد لوكوود ، مستاجر مزرعة تراش كروس

الفصل الأول

ترحيب جاف

عدت لتسوى من زيارة لصاحب المزرعة التى استأجرتها ، والذي سيكون جارى الأوحده لمسافة أميال عديدة . ولا أعتقد ، اننى كنت أستطيع فى انجلترا كلها ، أن يقع اختيارى على منزل ريفى أكثر بعدا عن المجتمع من مزرعة تراش كروس .

والسيد هيثكليف وأنا قرينين مناسبين فى مشاركة هذه العزلة . وعندما وصلت على جوادى اليه ،

حملت عيناه السوداوان فى بريبة من تحت جبهته
السمره •

فقلت :

— السيد هيثكليف ؟!

قاوما برأسه •

— انا السيد لوكوود مستأجرك الجديد لمزرعة
تروش كروس يا سيدى • لقد قمت بشرف زيارتكم
بعد وصولى مباشرة •

— ادخل !

تكلم وأسنانه مطبقة واستمر مستندا على
البوابة • وعندما رأى حصانى يضغط بصدره عليها ،
رفع يده ليفك سلسلتها ، ثم سار أمامى على الممر
الحجرى مناديا ونحن داخلين الى الساحة :

— جوزيف ، خذ حصان السيد لوكوود ، واحضر
بعض النبيذ ! •

فكرت :

— لابد أنه لا يوجد الا خادم واحد ، ولا عجب فان العشب ينمو بين الأحجار ، ويبدو أن الماشية هي الوحيدة التى تقوم بتقطيع سياج الأعشاب .

ويبدو جوزيف رجلا عجوزا سىء الطبع . وهمهم وهو يأخذ حصانى بصوت مستاء :

— ربنا يساعدنا !

ومرتفعات وذرينج هو اسم منزل السيد هيثكليف . وكلمة « وذرينج » لفظة محلية تصف تهور الطقس فى هذا الجزء المنعزل من يوركشير فى وقت العاصفة . ويمكن للانسان أن يحزر قوة ريح الشمال وهى تهب من فوق جانب التل ممارة بالأشجار القليلة النامية بشكل فقير عند نهاية المنزل . وبجانب صف من الشجيرات ذات الشوك التى تمتد جميع فروءها فى اتجاه واحد وكأنها تتسول دفء الشمس .

والمنزل مبنى بشكل متين . والنوافذ الضيقة

غائرة في الجدار بشكل عميق ، والأركان مدعمة بحجارة كبيرة من الخارج .

وقبل أن أدخل توقفت معجبا ببعض الحليات والزخارف الحجرية الغريبة فوق الواجهة ، والتي رأيت من فوقها التاريخ « عام ١٥٠٠ » ، واسم « هيرتون إيرنشو » . وكنت سأستفسر عن بعض التفاصيل الخاصة بالمكان إلا أن المالك كان نافذ الصبر .

وأوصلتنا خطوة واحدة الى غرفة جلوس العائلة ، التي يوجد على طرف واحد من جدارها صف وراء صف من الأطباق المعدنية الضخمة ، تعلوها أواني فضية وكثوس للشراب تصل حتى الذروة . ولم يكن هناك سقف . وكانت هناك فوق المدفأة العديد من البنادق ذات مظهر شرير .

وكانت الأرضية من حجر أبيض أملس . أما الكراسي فذات مساند عالية مطلية باللون الأخضر . وترقد في الركن كلبة ضخمة مع صفارها ، وتلازم كلاب أخرى الأركان الأخرى .

ولا تعتبر الحجرة ولا الأثاث شيئا غير عادى اذا كانت تخص مزارعا بسيطا من مزارعى يوركشير .
أما السيد هيثكليف فكان يبدو غريبا عن بيته وغريبا فى طريقة معيشته . انه غجرى أسمر البشرة فى مظهره ، ولكنه جنتلمان فى سلوكه وملبسه : أقصد كائى جنتلمان من أصحاب الأراضى الريفية . . ربما يهمل فى ملبسه نوعا ما ، الا أنه حسن المظهر ، أما التعبير المرسوم على وجهه فهو قاسى وعابس بعض الشيء .

واتخذت لى مقعدا بجوار المدفأة ، وقضيت دقائق قليلة من هذا السكون فى مداعبة الكلبة الأم لكسب ودها .

فقال هيثكليف بغشونة وهو يدفع الحيوان بقدمه بعيدا بعد أن كشرت لى عن أسنانها كلها :
- من الأفضل أن تتركها فى حالها .
ثم عبر الى باب جانبي وصرخ ثانية :
- جوزيف !

همهم جوزيف فى الغرفة السفلية ، لكنه لم يحضر لذلك نزل سيده للبحث عنه ، وتركنى وجها لوجه مع الكلبة الأم ، وزوج من كلاب الرعى الذين كانوا يراقبون كل تحركاتى . فجلست ساكنا ، لكنى لم استطع اخفاء عدم استلطافى للحيوانات ، وفى الحال وثبت على ركبتى اكبرها ، فالتقيت بها بعيدا ووضعت المنضدة بيننا . فاثار ذلك الثلاثة كلهم . وظهر آخرون وانضموا للفريق . واصبحت محاصرا من جميع الجهات ، وما كان على الا أن أصرخ فى طلب النجدة .

كان السيد هيثكليف ورجاله بطيئين فى الاجابة . ولحسن الحظ اندفعت لانقاذى سيده ضخمة قوية من المطبخ بذراعين عاريتين وخدين حمراوين من اثر الطهى ، وفضت الهجوم بمقلاة كبيرة . ودخل هيثكليف بعدها بقليل .

فسأل :

— ما هو الموضوع بحق الشيطان ؟

فأعطيته رأى فى كلابه .

فعلق وهو يضع بزجاجة أمامي ، ويعيد المنضدة
الى موضعها قائلا :

- انهم لا يتدخلون فيمن لا يلمس شيئا .
فالكلاب يجب أن تكون منتبهة . خذ كأسا من النبيذ !
- كلا ، شكرا .

- هل عضوك ؟ لا أظن ..

- اذا كان حدث ذلك ، لكنت تركت أثرا على
العاض .

فضحك هيثكليف وقال :

- تعال ، تعال ، لقد عكروا صفوك يا سيد
لوكرود . هاك ، خذ قليلا من النبيذ . فالضيوف
نادرون في هذا البيت ، وأعترف بأنني وكلابي لا نكاد
نعرف كيف نستقبلهم . في صحتك يا سيدي !

فانحنيت ، وبدأت أرى أنه من الحق أن أتضايق
من كلاب سيئة التصرف ، شاعرا أيضا بعدم الرغبة
في اعطاء مضيغى متعة أكبر بفقدان أعصابي .

ومن المحتمل أنه أدرك حماقة الاساءة لمستاجر
جيد مثل . وبدأ يتحدث بأدب أكثر ، وفي موضوع
يعتقد أنه يهمني . ووجدته ذكيا جدا وقبل مغادرتي
كنت على استعداد أن أعرض عليه أن أقوم بزيارة أخرى
غدا . ولم يبد الرغبة في الاستمرار في رفقتي ، ولكنني
سوف أذهب اليه ثانية رغم ذلك ..

الفصل الثانى

الترحيب لايزال أقل

كان الجو بعد ظهر أمس غائما باردا ، لذلك قررت أن أقضيه بجوار مدفأة غرفة الجلوس . ولكن بعد انتهائى من العشاء وجدت الخادم لازال يحاول اشعالها . فأخذت قبعتى ، وبعد مسيرة أربعة أميال وصلت الى بوابة حديقة هيثكليف تماما فى الوقت الذى هربت فيه من سقوط بوادر وابل الثلج الذى يسدو كالريش الخفيف .

كانت الأرض على قمة التل هذه باردة شديدة التجمد ، فجعلنى الهواء أنتفض مرتعدا ، وطرقت الباب الأمامى دون طائل ، وبدأت الكلاب فى ضجتها .

وطرقت مرة ثانية ، فظهرت رأس جوزيف غير
الودود من نافذة مستديرة للمخزن • وصاح قائلاً :
- ماذا تريد ؟ السيد موجود تحت بالمزرعة •

فصحت قائلاً :

- ألا يوجد أحد ليفتح الباب ؟
- توجد السيدة فقط ، وهى لن تفتح اذا ظللت
تصيح حتى آخر الليل •
- لماذا ؟ ألا تستطيع أن تخبرها من أنا ؟
- ليس هذا شأنى !
واختفت رأسه •

بدأ الثلج يتساقط بكثافة ، وكنت على وشك
أن أطرق الباب للمرة الثالثة ، عندما قدم فتى بدون
معطف ويحمل مجرافاً من الساحة الخلفية • فنادى على
أن أتبعه • وبعد سيرنا عبر محل الفسيل وساحة
تحتوى على مستودع للفحم ، ومضخة ، وبرج حمام ،
وصلنا فى النهاية الى الغرفة الضخمة الدافئة المبهجة
التي استقبلونى فيها من قبل •

كانت نارا هائلة تشتعل في المدفأة ، وبالقرب من
المائدة المعدة لوجبة عشاء متنوعة ، فرأيت « السيدة »
فانحنيت وانتظرت ، معتقدا أنها ستطلب مني الجلوس .
ولكنها نظرت الى متكئة على مسند كرسيها وظلت
صامتة بلا حراك . فعلمت قائلا :

— انه طقس قاس ، لقد جاهدت يا مسز هيثكليف
لأجعل خادمك يسمعنى .

ولم تنبس ببنت شفة ولكنها احتفظت بعينيها على
بطريقة باردة وسمجة جدا . وقال الفتى بغشونة :

— اجلس ، انه سيأتى حالا .

فأطعته . ثم جاء أحد الكلاب بطريقة أكثر ودا عن
المرّة الأولى . فاسترسلت قائلا :

— حيوان جميل ، هل تنوين الاحتفاظ بالصفار
يا مسز هيثكليف ؟

فقالت المضيفة بوقاحة أكثر من هيثكليف نفسه :
— انها .. لا تخصنى !

فكررت ملاحظتي عن هياج الطقس ، فقالت
السيدة وهي تنهض لتتناول علبتى شاي ملونتين من
الرف الذى يعلو المدفأة :

— كان يجب عليك ألا تخرج !

كان مكانها يحجبها عن الضوء ، أما الآن فيمكننى
رؤية كل وجهها وقوامها بوضوح . كانت تبدو أكبر
قليلا من فتاة ، ذات قوام على أحسن ما يكون ، وأرق
وجه صغير كان لدى المتعة فى رؤيته على الإطلاق .

كانت علبتا الشاي بعيدتين عن متناول يديها
تقريبا ، فقامت بالتحرك لمساعدتها ، فالتفتت نحوى
وقالت بحدة :

— لا أريد مساعدتك !

فأسرعت طالبا عفوها ، وسألت وهى تقف
ممسكة بملقعة مملوءة بالشاي فوق الابريق :

— هل دعيت على الشاي ؟

فقلت مبتسما :

— كلا ، انك الشخص المناسب لدعوتى .

فالتقت بالشأى مكانه وبالمعلقة وبكل شىء ثم عادت
الى كرسيها • وتدلت شفتها السفلى كطفل على وشك
البكاء •

ارتدى الفتى ، فى هذه الأثناء ، سترة كالجاكيت ،
ووقف أمام المدفأة • وكان ينظر الى بشراسة ، وبدأت
أشك فى أن يكون خادما • فملأه خسنة وكذلك
حديثه ، وشعره غير مقصوص ويداه داكنتين كيدى فلاح
أجير ، الا أن سلوكه المتحرر يجعله يبدو متغطرسا •
كما أنه لم يبد أى علامة على خدمة سيده المنزل •

وبعد خمس دقائق أخرى وصل هيثكليف •
فقال وهو ينفخ الثلج الأبيض الناعم من على ملابسه :

— اعجب لخروجك فى هذه العاصفة الثلجية
الكثيفة • ألا تدري أنك من الممكن أن تفضل الطريق ؟
حتى الناس الذين يالفون هذه البقاع كثيرا ما يضلون
طريقهم فى ليلة كهذه !

— ربما أمكننى الحصول على دليل من بين خدمك ؟
هل يمكنك الاستغناء عن أحدهم ليرشدنى الى الطريق ؟

- كلا ، لا أقدر .

فسأل الفتى ناظرا للسيدة :

- هل ستقومين بعمل الشاي ؟

فسالت ملتفتة الى هيثكليف :

- هل سيتناول الشاي ؟

فاجابها بشراسة أثارت اندهاشي :

- جهيزيه ، ممكن ؟

وعندما انتهى تجهيزه ، دعاني قائلا :

- والآن يا سيدى ، تقدم بكرسيك !

والتفطنا جميعنا حول المائدة وبدأت الوجبة بدون

مزيد من الحديث .

الفصل الثالث

لا مكان للزوار

بدأ لي من المستحيل أن يجلسوا كل يوم في عدا
هكذا صامتين ، ففكرت اذا كنت قد تسببت في تعكير
الجو فمن واجبي أن أصفيه • وأسرع قاتلا :

— كثيرون لا يتخيلون المعيشة في سعادة بعيدا
هكذا عن المجتمع ، ولكنك يا سيد هيثكليف مع زوجتك
وأسرتك ..

— ان زوجتي ليست على قيد الحياة يا سيدى !
فأدركت أنني اقترفت خطأ ، ونظرت الى الفتى •

والقى هيثكليف بنظرة حقد غريبة تجاه مسز هيثكليف
وهو يتكلم :

— مسز هيثكليف هي زوجة ابني !

— وهذا الشاب ..

— انه ليس بابني . ابني مات .

فاحمر وجه الشاب وقال في خشونة :

— اسمى هيرتون ايرنشو ، وانصحك أن تحترمه !

وثبت عينيه على بطريقة تهديدية . وبدأت أشعر
بأننى متطفل على هذا المكان وسط هذه الأسرة الغريبة ،
وصممت على أن أكون حذرا بالمجازفة بالحضور تحت
سقفهم مرة ثالثة .

وعندما انتهى موضوع الأكل ، اقتربت من
النافذة . كان الليل قادما بحلكته والحركة الوحشية
الملتوية للرياح والتلوج تحجب السماء والتلال عن
الرؤية . فقلت :

- لا اعتقد أننى أستطيع الوصول الى البيت حاليا بدون دليل !

وقال هيثكليف ناهضا :

- هيرتون ، أدخل الأغنام الباقية فى الحظيرة
والا سيردها الثلج اذا تركناها فى الخارج طوال
الليل !

فاستأنفت الحديث قائلا :

- ماذا يجب على أن أفعل ؟

ولم أحصل على جواب ، وعندما نظرت من حولي
رأيت جوزيف فقط وهو يجلب طعام الكلاب ومسزز
هيثكليف تميل فوق المدفأة • فقللت بشكل جاد :

- مسزز هيثكليف ، أرجو أن تعذرني لازعاجك •
دلينى اذا سمحت على بعض العلامات المميزة التى عن
طريقها أعرف طريقى للبيت •

فقالت وهى تجلس على كرسى مع كتاب وشمعة :

- اسلك الطريق الذى أتيت منه ، لا أستطيع أن أدلك على الطريق فلن يسمحوا لى بالسير بعد سور الحديقة .

- ألا يوجد عمال بالمزرعة ؟؟

- كلا ، لا يوجد الا هيثكليف وايرنشو وزيللا وجوزيف وأنا .

فصاح صوت هيثكليف من المطبخ :

- آمل أن يكون هذا درسا لك بألا تقوم بمزيد من الرحلات الحمقاء على هذه التلال . أما بخصوص البقاء هنا فانا لا أحتفظ بغرف للزوار ، فيجب أن تقتسم السرير مع هيرتون أو جوزيف .

- أستطيع النوم على كرسى فى هذه الحجرة .

- كلا ! فالغريب غريب سواء كان غنيا أم فقيرا . فلا يلائمنى أن يترك أحد هائما فى هذا المكان بدون حراسة .

وبهذه الاهانة نفد صبرى ، فاندفعت خارجا الى

الساحة التى كانت مظلمة لدرجة لم أستطع رؤية طريقى
الى الخارج .

وكان جوزيف يحلب الأبقار على ضوء مصباح ،
فامسكت به قائلا بأننى ساعيده فى اليوم التالى
واندفعت الى أقرب بوابة فصرخ الرجل العجوز :

— سيدى ، سيدى ، انه يسرق المصباح . الحقوه
يا كلاب ، الحقوه !

قفز كلبان كثيفا الشعر على رقبتى وطرحانى
أرضا فانطلقا نور المصباح ، بينما ازداد غضبى وامتهانى
بسبب ضحكات هيثكليف وهيرتون الوقحة ، وظللت
ملقيا على الأرض رغما عنى هناك ، حتى صرخوا على
الكلاب بالابتعاد .

تسبب عنف غضبى فى نزيف من أنفى . واستمر
هيثكليف فى الضحك ، واستمرت فى التوبيخ .
وجاءت أخيرا زيللا الحادمة الضخمة لترى ما يحدث .

— هل سنقتل الناس على عتبة بابنا ! انظروا الى

الشباب المسكين ! انه يتنفس بصعوبة ! ادخل وساعالج.
ذلك .

ومع هذه الكلمات ألقت على رقبتى فجأة ببعض
الماء المثلج ، وسحبتنى الى المطبخ .

وشعرت بالاعياء والاغماء . وأبلغ هيثكليف زيللا
أن تعطينى كوبا من شىء قوى لأشربه ، ويبسود أننى
تحسنت قليلا بعده . ثم تركتها ، بعد ذلك ، تقودنى
الى الفراش !

الفصل الرابع

ليلة مزعجة

نصحتنى زيللا ، ونحن نصعد السلم ، بالا أقوم
بأية ضجة ، حيث أن السيد لديه فكرة غريبة عن الغرفة
التي تأخذنى إليها ، ولا يسمح لأحد مطلقا أن ينام فيها.
فأحكمت اغلاق بابى ونظرت حولى . وكان كل
الأثاث عبارة عن كرسى وصندوق طويل للملابس ،
وخزانة خشبية كبيرة لها فتحات مربعة فى أعلاها
تشبه نوافذ العربة . ونظرت فى داخل قطعة الأثاث
هذه فوجدتها عبارة عن سرير غريب قديم مكونا حيزا
خاصا به ملاصقا للنافذة ، ويستخدم الطرف العريض
منه كمنضدة .

وكان على الرف الذى وضعت عليه شمعتى بعض الكتب القديمة مكومة فى أحد الأركان المغطاة بكتابات مخدوشة على الطلاء . وكانت هذه الكتابة عبارة عن اسم مكرر مرات عديدة وهو « كاترين ايرنشو » ويتبدل أحيانا الى « كاترين هيشكليف » ، ثم مرة أخرى الى « كاترين لنتون » .

استندت برأسى على النافذة وواصلت قراءة الأسماء حتى غفوت ، ولم أسترح سوى خمس دقائق حتى اكتشفت أن شمعتى قد وقعت على أحد الكتب وأخذت أشم رائحة احتراق ، فاعتدلت وتفحصت الكتاب . كان اسم « كاترين ايرنشو » على الصفحة الأولى ، وتحته تاريخ يرجع الى حوالى ربع قرن مضى . فأغلقتة وأخذت بكتاب آخر ، وآخر حتى تفحصتهم جميعهم .

لقد استخدمت الكتب استخداما حسنا ولكن فى غير الغرض المعتاد ، فكل فراغ كان مملوءا بكتابات صبيانية ، بعض منها على هيئة مذكرات يومية لما يحدث .

وتعجبت أن أجد في أعلى إحدى الصفحات الإضافية رسماً
ممتازاً لجوزيف ، فشعرت باهتمام فوري نحو كاترين
المجهولة . وبدأت في الحال قراءة الكلمات المطبوعة :
يوم أحد مزعج . . آه لو كان أبي حياً . . ان
هندي كرية . ان معاملته لهيشكليف مخجلة .

ان المطر ينهمر طوال النهار . . لم نستطع الذهاب
الى الكنيسة . وبينما يجلس هندي وزوجته في الطابق
السفلي بجانب المدفأة المربعة ، كنا مأمورين أن نأخذ
كتب صلاتنا ونصعد الى أعلى المنزل لنستمع الى جوزيف
مصلياً وواعظاً . بقينا هناك ثلاث ساعات ، ومع ذلك
قال أخى أننا نزلنا بسرعة وقال :

- تذكروا أن لكم سيدي هنا ، وسأقتل أول من
يزعج مزاجي . أوه ، يا ولد ؟ هل هذا أنت ؟ . .
فرانسيس شديده من شعره أثنا مرورك .

ونفذت فرانسيس ذلك ، ثم ذهبت وجلست مع
زوجها . وكانا كطفلين يتحدثان كلاماً فارغاً . واختبانا
في أحد الأركان ولكن جوزيف طردنا في الحال وقال باننا

اشرار لاننا نلعب في يوم الأحد .. وجدت قارورة حبر
فكتبت في هذا الكتاب لمدة عشرين دقيقة ، ولكن رفيقي
نافذ الصبر ويقترح أن نتدثر جيدا ونذهب لنركض في
البقاع . ولن نبرد ولا نبتل تحت المطر اكثر مما نحن
فيه هنا .

أعتقد أنهم فعلوا ذلك ، حيث أن الجملة التالية
تناولت موضوعا آخر هو : . . . لم أكن أعتقد أن هندلي
يتسبب في بكائي هكذا ! فرأسي تؤلنى ، حتى اننى
لا أستطيع أن أضعها طويلا على الوسادة ! مسكين
هيشكليف ! يدعو هندلي الفجرى ، ويمنعه من الجلوس
معنا ، وأمره بالا يأكل معنا بعد ذلك . ويقول أخى
بأننى لا يجب أن ألعب مع هيشكليف وهدد بطرده من
المنزل اذا عصى أوامره . وأخذ يلوم والدنا لمعاملته
الرحيمة لهيشكليف ، وأخذ يقسم بأن يضعه فى مكانه
المناسب . . .

بدأت رأسى تنكفى على الصفحة الباهتة وغصت
فى السرير على الفور ونمت .

ولا أدري لماذا قضيت ليلة 'مزعجة' ؟ أوه ، هل
من أثر الشأى السيء وتعكر مزاجى ؟

وأخذت أرى حلما مزعجا وراء حلم مزعج آخر ..
كان جوزيف يدلنى على البيت ولكنه قادنى بدلا من
ذلك للكنيسة التى مررت عليها فى طريقى الى المرتفعات
.. وكان حديث الواعظ منقسما الى أربعمائة وتسعين
جزءا . وأصبحت مرهقا وقلقا : بدأت رأسى تتمايل *
وفى صوت كالرعد نادى على جميع المستمعين له بأن
يعاقبونى بسبب فجورى . فاندفع نحوى كل المتعبدين
بعصيهم المرفوعة ، وأنا مجرد من أى سلاح ، وبدأت
أتصارع مع أقرب مهاجم لى ، جوزيف . وامتلات
الكنيسة بصوت الضربات ...

وأخذ صوت الضربات يرتفع حتى استيقظت .. !
ما الذى سبب الضجة ؟ مجرد فرع شجرة لمس
نافذتى .

فتقلبت فى السرير ، ثم نمت ثانية . وتذكرت
فى هذه المرة أين كنت راقدا ، وسمعت صوت الريح

ونقرات فرع الشجرة على النافذة .. وأزعجني جدا هذا
الصوت لدرجة أنني صممت على أن أسكته . فنهضت
وحاولت فتح النافذة ولكن بدون جدوى .

وزمجرت قائلا وأنا أكسر الزجاج بيدي وأمدها
خارجا لأمسك بالفرع المزعج .

يجب أن أوقفه ، رغم ذلك !

وعوضا عن ذلك قبضت أصابعي على أصابع يد
صغيرة باردة كالثلج !

انتابني رعب مهول : وحاولت أن أسترجع يدي
ولكن اليد أمسكت بها ، وسمعت صوتا حزينا :

- دعني أدخل ! دعني أدخل !

فسألت وأنا أصارع في تحرير نفسي :

- من أنت ؟!

فاجاب الصوت متلفضا :

- « كاترين لنتون » .. لقد عدت للبيت . لقد

ضيعت طريقي في البقيع . (لماذا فكرت في «لنتون» ؟

• ولقد قرأت « إيرنشو » عشرين مرة بالمقارنة مع
« لنتون » (• وشاهدت أثناء ذلك فى شحوب ، وجه
طفلة تنظر عبر النافذة •

وجاءت الصرخة مرة أخرى ، بينما اليد مستمرة
فى الإمساك بيدي التى خبلتنى فزعا :

– دعنى أدخل !

فقلت أخيرا :

– كيف لى ؟ اتركينى اذا أردت أن أدخلك !

تراخت الأصابع ، فسحبت يدي بسرعة من خلال
الفتحة المكسورة ، وكومت الكتب قبالتها وسددت أذنى
حتى لا أسمع أى صوت ••

ويبدو أننى ظلمت هكذا مايزيد عن ربع ساعة ،
ومع ذلك فعند لحظة انصاتى ثانية تكرررت الصرخة
الحزينة • وجعلنى الخوف قاسيا • فصرخت :

– ابعدى ! لن أدعك تدخلين مطلقا ، حتى لو
توسلت لمدة عشرين سنة !

فقال الصوت :

• — انها عشرون سنة • عشرون سنة ! اننى اهيمن
من عشرين سنة !! •

وبدا النباش بالأطافر من الخارج وتحركت كومة
الكتب وكأنها تندفع الى الأمام • فحاولت أن أقفز
ناهضاً ، ولكنى لم أستطع الحركة ، وهكذا صرخت
بصوت عال فى فزع !

الفصل الخامس

سلوك مضيئ الغريب

اقتربت خطوات متلهفة من بابي . وفتحته شخص
ما بيد عنيفة ثم ظهر نور فاستيقظت وجلست مرتعدا .
وقال صوت في شبه همس مبديا عدم توقعه
للإجابة :

— هل يوجد أحد هنا ؟ !

فحركت أبواب الحزانة ، ولن أنس أثر ما أنتجه
ذلك . كان هيثكليف واقفا بالقرب من المدخل ، مرتديا
قميصه وبنطلونه ، وممسكا بشمعة في يده ووجهه
أبيض في لون الحائط الذي خلفه ، وأثرت حركتي

الأولى فيه كصدمة كهربائية • فسقطت الشمعة من يده .
وصحت قائلاً :

- اننى ضيفك فقط يا سيدي ، لقد صرخت
لسوء الحظ فى نومى بسبب حلم مخيف !
فزجر هيثكليف لأعنا ، ووضع الشمعة على
الكرسى لأنه لم يستطع الإمساك بها فى ثبات •
وسألنى :

- ومن أتى بك الى هذه الغرفة ؟

فاجبت :

- زيللا خادمته ، أعتقد أنها أرادت الحصول على
دليل بأن المكان مسكون • حسن ، انه كذلك ! ولك
الحق فى اغلاقه •

فسأل هيثكليف :

- ماذا تعنى ؟ لا يوجد عذر للضجة الرهيبة التى
أحدثتها ، الا اذا كان هناك شخص يذبحك من
رقبتك •• !

فاجبت :

— اذا دخل شبيحها الصغير من النافذة لكنت قد
أجهزت على بالتأكيد ! حيث أن كاترين لنتون أو إيرنشو
أو أى اسم تدعى به أخبرتنى بأنها تسير فى الأرض منذ
عشرين سنة !

وما كدت أنتهى من هذه الكلمات الا وتذكرت
ارتباط هيثكليف مع كاترين من الكتابة الموجودة فى
الكتاب .

وارعد هيثكليف قائلا :

— ماذا تعنى بكلامك بهذه الطريقة لى ؟ كيف
تجرؤ على ذلك وأنت تحت سقفى ؟! وخبط جبهته
بضراوة . . وبدأت البس ، وجلس هيثكليف على
السريр . واعتقد ، بسبب تنفسه المتقطع ، انه كان
يصارع شعورا جبارا . وقال أخيرا :

— سيد لوكوود ، يمكنك الذهاب الى حجرتى .
فصراخك الصبيانى قد أنهى فرص نومى لهذه الليلة .

فاجبت :

- وأنا أيضا . سأسير فى الساحة حتى يروغ ضوء النهار ، ثم أرحل !

وتركت الغرفة ، ثم لكونى لم أعرف الطريق الى تحت ، استدرت عائدا لأسأل ، فشاهدت دون قصد سلوك مضيفى الغريب .

لقد ذهب الى السرير وفتح النافذة منفجرا ، وهو يفعل ذلك ، فى نوبات من البكاء الذى لا يمكن التحكم فيه . وصرخ :

- تعالى ! تعالى ! كاتنى افعلها وتعالى ! .. أوه افعلها مرة أخرى ! أوه .. يا أغلى ما فى قلبى ! هل تسمعين هذه المرة ، كاترين ، أخيرا !!

لم يظهر شبحها على الإطلاق ولكن الجليد والريح كانا يهبان للداخل بوحشية .

وكانت هناك معاناة فى حديثه المسعور لدرجة انى بدأت أشفق عليه .. فنزلت متحسسا طريقى الى

المطبخ بهدوء حيث وجدت بقايا للنار مازالت دافئة ،
فتمددت على طاولة حتى الصباح وغادرت مبكرا بقدر
الامكان .

كان الهواء صافيا وباردا كالثلج . وقبل أن أصل
نهاية الحديقة جاء مضيغي ورائي وعرض أن يذهب معي
عبر المستنقعات . وحسنا ما قد فعل حيث كان جانب
التل كله عبارة عن بحر عظيم من الثلج الأبيض ، ولا
يمكن رؤية الطريق .

وتبادلنا قليلا من المحادثة ، واقتربنا عند مدخل
باحة تراش كروس . ووصلت منزل المزرعة بعد ما
ضللت طريقي بين الأشجار ، وغصت حتى رقبتى فى
الجليد ، فارتاحت مسردين مدبرة المنزل لرؤيتى ،
لأنها اعتقدت بأننى لقيت حتفى فى المستنقعات !

الفصل السادس

من هؤلاء الناس ؟

أصبحت عندئذ شبه متجمد .. وجررت نفسى صاعدا السلم ، وارتديت ملابس جافة ، وجلست فى حجرة الجلوس ضعيفا لدرجة لم أستمتع بالمدفأة المبهجة ولا بالقهوة الساخنة التى أعدتها الخادمة لانعاشى .

لقد اخترت هذا المكان ، على ما أذكر ، لانعزاله .. ولكننا نحن البشر لا نعرف عن عقولنا الا القليل ! هل حقا أرغب فى الحياة هنا ؟!

وعند المساء كنت قد تعبت من مصاحبة نفسى .. فطلبت من مسز دين عندما أحضرت العشاء أن تجلس أثناء تناولى له ، وسألتها :

— لقد عشت هنا لفترة من الوقت .. اليس كذلك ؟

— ثمانية عشر عاما يا سيدى . لقد جئت عند زواج السيدة لأقوم على خدمتها وبعد وفاتها ، احتفظ السيد بى كمديرة للمنزله .

وفكرت :

— سادير الحديث عن عائلة صاحب المزرعة وفتاة النافذة الجميلة هذه — أحب أن أعرف تاريخها .
وبهذه النية سألت لماذا أجر هيثكليف منزل تراش كروس وفضل أن يعيش فى مكان أقل عظمة الى حد كبير .

واستفسرت :

— اليس غنيا بما يكفى للحفاظ على المزرعة فى حالة لائقة ؟

فاجابت :

— غنى يا سيدى ! أجل انه غنى لدرجة تمكنه من

أن يعيش فى منزل افخم من هذا • ولكنه حريص جدا
على ماله •• !

– لديه ابن على ما يبدو ؟

– كان لديه ابن ومات !

– والسيدة الشابة مسز هينكليف أرملة ابنه من
أين جاءت ، فى بادى الأمر ؟

– لماذا يا سيدى ، انها ابنة المرحوم سيدى
السابق ، وكان اسمها قبل الزواج كاترين لنتون •
كنت مربيتها ، المسكينة !

فقلت متعجبا :

– ماذا ! كاترين لنتون !؟

ولكن لحظة تفكير جعلتنى أدرك أنها ليست كاترين
الشبح •

– ومن هو إيرنشو ، هيرتون إيرنشو ، الذى
يعيش مع السيد هينكليف ؟ •• هل هو قريب له ؟

– كلا •• انه ابن أخ المرحومة مسز لنتون ، وابن

خال السيدة الصغيرة • هيرتون هو آخر سليل لعائلة
ايرنشو ، عائلة قديمة جدا مالكة لمرتفعات وذرينج ••
وكاترين هي السليلة الوحيدة الباقية من عائلة لنتون ،
الذى كان منزل عائلتها هو مزرعة تراش كروس • هل
ذهبت الى المرتفعات يا سيدى ؟ أود أن أسمع كيف
حالتها ؟!

- مسز هينكليف ؟ انها تبدو فى حالة طيبة ،
وجميلة جدا ، ولكنها ليست سعيدة على ما أعتقد ••
- أوه ، حسن ، اننى لست مندهشة • وكيف
وجدت السيد ؟

- انه شخص خشن يا مسز دين • هل تعرفين أى
شئ عن حياته ؟

- كل شئ يا سيدى ، فيما عدا مسقط رأسه ،
ومن هما والداه ، ولا أعرف كيف حصل على ماله فى
البداية •• ولقد خسر هيرتون حقوقه ! فالولد التبعيس
لا يعرف كيف سلبت أملاكه !

- حسن ، يا مسز دين ، لن أستطيع أن أرتاح اذا

ذهبت الى الفراش . فهل يمكنك البقاء واخبارى ببعض
ما تعلمينه عن جيرانى ؟

- اوه ، بالطبع يا سيدى ! سأذهب لأحضر قليلا
من شغل الحياطة ثم أجلس كما تحب !

وخرجت بسرعة ، واقتربت من المدفأة .
فاحسست براسى ساخنة ، وباقى جسمى باردا . لقد
اثارتنى أحداث اليومين الأخيرين ، وبدأت أخشى أن
يكون الأثر على صحتى خطيرا .

وثبت أن مخاوفى كانت حقيقية . وقضيت
الأسابيع التالية فى الفراش ، وأثناء وعكتى كانت
مسز دين تاتى لتجلس وتشاركنى الصعبة .

وأثناء ذلك ، أخبرتنى قليلا قليلا بالقصة
التالية ..

الجزء الأول

كاترين الأولى

أو

بدور الحقد تزرع

(١٧٧١ - ١٧٨٤)

ترويها السيدة ايلين (نيلل) دين مدبرة منزل مزرعة تراش كروس
والخادمة السابقة بمرتفعات وذرينج

الفصل السابع

غريب غير مرغوب فيه

بنت عائلة ايرنشو مرتفعات وذرينج منذ أكثر من
ثلاثمائة سنة مضت ، وظل حتى عهد قريب منزلا للعائلة
.. وكنت ، قبل أن أحضر لأعيش في المزرعة ، دائما
في المرتفعات ، لأن أمي كانت ، وأنا طفلة صغيرة ،
مربية لهندلي ايرنشو الذي كان والد هيرتون ...
واعتمدت ، كطفلة أن لعب مع الطفلين ، هندلي وأخته

كاترين .. وأقوم بأعمال صغيرة ، أيضا ، كتجميع
القش ، وكنت دائما مستعدة بالمزرعة للقيام بأى عمل
يطلبه منى أى أحد .

وفى صباح أحد أيام الصيف الجميلة نزل السيد
ايرنشو الكبير مرتديا ملابس السفر ، وبعد ما أخبر
جوزيف ما عليه أن يقوم به أثناء النهار ، التفت الى
ابنه وابنته وسألهما عما يحبان أن يحضره لهما من ميناء
ليفربول ، قائلا يجب أن يكون ما يحضره شيئا صغيرا
حيث أن المسافة حوالى ستين ميلا . فطلب هندلى آلة
كمان ، واختارت كاترين سوطا ، فرغم كونها لا تزيد
عن ست سنوات من العمر الا أنها كانت تستطيع أن
تمتلى أى جواد بالاسطبل . وقبل ابنه وابنته مودعا
وانطلق ..

وبدت الأيام الثلاثة التى غابها فترة طويلة علينا
جميعا . وتوقعت السيدة ايرنشو حضوره على موعد
العشاء فى الليلة الثالثة ، وأخذت تؤجل الأكل ساعة
وراء ساعة ولكن لم تبد أى علامة على مجيئه . وحل

الظلام وأرادت أن ترسل الطفلين إلى فراشهما ، ولكنهما
توسلا أن يظلا مستيقظين حتى يحضر .

وفي حوالي الساعة الحادية عشرة انفتح الباب
بهدهوء ، ودخل السيد ملقيا بنفسه على الكرسي ضاحكا
متأوها ، ثم فتح معطفه الكبير الذي كان ممسكا به
ملفوا على ذراعيه .

— انظري هنا ، يا زوجتي ! عليك أن تاخذى هذا
كهديّة من الله ، رغم أنه فى سمرة كأنه قادم من عند
الشيطان !

تزاحمنا من حوله وشاهدت من فوق رأس كاترين
طفلا قدرا ، أسود الشعر ممزق الملابس ، كبيرا بما
يسمح له أن يمشى ويتكلم . وفى الحقيقة كان يبدو أكبر
من كاترين . وعندما وضعوه على قدميه ، أخذ يحملق
فى من حوله ويكرر بعض الأصوات التى لم يفهمها
أحد . لقد خفت ، وكانت السيدة إيرنشو مستعدة
أن تلقى به خارج الأبواب .

لقد راه السيد يموت جوعا ، بلا مأوى وغير قادر

على النطق بأى كلمة انجليزية فى أحد شوارع
ليفربول . ولم يعرف أحد أهل هذا الطفل ، فقرر ألا
يتركه طالما عثر عليه ، وحيث أن وقته كان محدودا ،
وكذلك النقود التى معه ، ففكر أنه من الأفضل أن يأخذه
معه ، الى البيت فى الحال . وطلبوا منى أن أحمله ،
وأعطيه ملابس نظيفة ، وأدعه ينام مع الأطفال .

واقترح هندل وكاتى بالنظر والاستماع حتى بدأ
كلاهما البحث فى جيوب والدهما عن الهديتين اللتين
وعدهما بهما . وكان هندل صبيا فى الرابعة عشر من
عمره ، ولكنه عندما سحب ما كانت آلة كمان وتكسرت
فى المعطف الى قطع صغيرة بكى عاليا . وعندما علمت
كاتى بأن أباهما قد فقد سوطها وهو يرعى الفريش أبدت
انفعالها بأن تبصق وتكشر فى هذا الشيء الصغير .
وتلقت ضربة من أبيها ليعلمها السلوك المهذب . ورفضاً
كلية أن ينام الطفل معهما فى فراشهما أو حتى فى
حجرتهما ، ولذلك وضعتة خارجا على السلم ، آملة أن
يذهب لحاله عند قدوم الصباح . ولكنه تسلل الى باب

غرفة السيد ايرنشو وعثر عليه هناك • فطر دنى خارج
المنزل كمقاب على قسوتى •

وعند عودتى بعد أيام قليلة وجدتهم قد أطلقوا على
الطفل اسم هينكليف • وكان هذا اسم ابن لعائلة
ايرنشو مات فى طفولته • وأصبح منذ ذلك الحين
بالنسبة له اسما ولقبًا •

وأصبح هو والآنسة كاتى على وفاق تام ، بينما
كرهه هندلى • ولم تقل السيدة أية كلمة عندما تراه
يسىء معاملته ...

كان يبدو طفلا صبوراً غير مبتسم ، ربما تعود
على عدم الشفقة • فكان يقاسى من ضربات هندلى دون
شكوى • وعندما اكتشف السيد ايرنشو أن ابنه
يضرب الطفل اليتيم المسكين ، كما دعاه ، غضب وثار •
وأصبح مغرماً به بشكل غريب ، فأخذ يدلله أكثر من
كاترين التى كانت متشبثة الراى جداً وشقية لدرجة
أبعدتها عن أن تكون المفضلة •

وهكذا تسبب هيثكليف ، من البداية ، فى بث
الشعور السيء فى المنزل ، وعند وفاة السيدة ايرنشو ،
بعد عامين ، تعلم السيد الصغير أن يفكر فى أبيه على
أنه قاس ، وغير رحيم ، وفى هيثكليف على أنه لص
سرق حب أبيه منه .

وكننت أتعجب دائما ما الذى رآه سيدي ليعجب
به فى هذا الولد الكريه الذى ، على قدر ما أتذكر ، لم
يظهر أية علامة امتنان لمعاملته على هذا النحو الطيب .
كان بكل بساطة بلا شعور تجاه حاميه ، رغم أنه يعرف
جيذا مكانته فى قلبه .

أذكر ذات مرة أن السيد ايرنشو اشترى زوجا
من الجياد للأولاد . فأخذ هيثكليف الأجل . ولكنه بعد
فترة أصابه شيء فى قدمه ، وعندما اكتشف ذلك قال
لهنلى :

— يجب أن تبادل جوادك بجوادى ، والا أخبرت
والدك بالضربات الثلاث اللاتى أعطيتهم لى هذا
الأسبوع !

فهدده هندلى بكرة حديدية كانت فى يده • فقال
هيشكليف :

— القها ، وسأقول انك تتفاخر بطردى خارج
البيت عند وفاته وسترى أنه سيطردك أنت فى الحال •
فألقاها هندلى ، وضربه فى صدره وتسبب فى
سقوطه • ونهض ثانية فى الحال شاحبا مقطوع النفس ،
وإذا لم أمنعه لكان ذهب فورا الى السيد وحصل على
انتقام كامل •

وقال الفتى هندلى :

— خذ حصانى يا عجرى يا حقير ، وأدعو الله أن
تنكسر رقبتك آ

وذهب هيشكليف ليستولى على الحصان عندما
انتهى هندلى من حديثه ، واندحشت عندما رأيت الطفل
يللم نفسه بهدوء وينهض من تحت قدم هندلى ، ويقوم
بتبديل السرجين وكل شيء ، وحثته على أن يضع اللوم
للكدمات التى ظهرت فى وجهه على الحصان • فلم يعر
ذلك اهتماما طالما قد حصل على ما يريد •

الفصل الثامن

هندلى يصبح سيدا

و يمر الوقت ، وتبدأ صحة السيد ايرنشو تسوء .
وفجأة يفقد قوته ويصبح سريع الغضب .
واستقر فى رأسه انه بسبب حبه لهيثكليف ، فكل واحد
يكره الولد ويتمنى له الأذى . وكان هذا ضررا على
هيثكليف الصغير ، لأننا كنا لا نريد ازعاج السيد ،
واستسلمنا له جميعا ما عدا ابنه ، وكان ذلك تشجيعا
لكبرياء الولد واستشراء لطبعه الأسود . وكان أسلوب
الاحتقار الذى يستخدمه هندلى يفضب والده : وكاد
السيد ايرنشو أن يمسك بعصاه ليضربه ، وانتفض
من الغضب لمجزه .

وأخيرا ، جاء راعي كنيستنا ، الذى كسب بعض المال من تعليمه لصغار عائلتي لنتون وايرنشو ، ونصح بارسال الفتى الى الكلية ووافق السيد ايرنشو ولكن على مضض ..

وأملت أن نحصل على السلام آنئذ ، وتم ذلك فيما عدا من الآنسة كاتى ، وجوزيف . فكان الخادم المجوز لديه كل ليلة سلسلة من الشكاوى ضد هيثكليف وكاتى . أما بخصوص كاتى ، فبال تأكيد كان لديها طرق لم أر مثلها مطلقا فى طفلة من قبل . فكانت تفقدنا صبرنا خمسين مرة وأكثر كل يوم . فمن ساعة نزولها من الطابق العلوى حتى ساعة ذهابها للنوم ، ونحن لا نحصل على دقيقة راحة من شقاوتها . كانت روحها دائما مرحة ولسانها دائما يتحرك .. تفنى ، وتضحك وتزعج كل من لا يفعل مثلها . فكانت شيئا صغيرا شريرا متوحشا ، ولكن كان لديها أجمل عيني ، وأحلى ابتسامة ، وأرشق خطوة فى منطقتنا كلها . وأظن ، رغم كل شيء ، أنها لم تكن تقصد أى ضرر . وأصبحت متيمة بهيثكليف ، وأعظم عقاب يمكننا أن

نخترعه لها هو أن نبعدها عنه ، رغم أنه كان يوبخها
أكثر من أي واحد فينا ! •

وجاءت الساعة ، أخيرا ، التي أنهت عنا إيرنشو
على الأرض • لقد مات بهدوء على كرسيه في أحد ليالي
شهر أكتوبر •

وجاء السيد هندلي للبيت من أجل الجنازة ، والشيء
الذي جعل الجيران يتهايمسون يميننا وشمالا هو زوجته
التي جلبها معه • ولم يخبرنا مطلقا من هي ولا أين
ولدت • ربما لأنها ليست ذات مال ولا اسم يزيكها ،
والا ما كان احتفظ بزواجه سرا عن والده •

كانت نحيفة نوعا ما ، ولكنها صغيرة نظرة ،
وكانت عيناها تبرقان كالماش ، ولكنني لاحظت أن
صعودها السلم يجعل تنفسها سريعا نوعا ما ، وأنها
تسعل أحيانا بشكل سيء •

لقد تغير إيرنشو الصغير خلال السنوات الثلاث
لغيابه • فكان يتكلم ويلبس بشكل مختلف • وأبدت

روجته سعادتها في أن تتخذ كاتى كاخت لها .. فكانت
تقبلها وتغمرها بالهدايا . ومع ذلك ، لم تدم عاطفتها
طويلا ، فكلمات قليلة منها ذاكرة عدم استلطافها
لهيثكليف كانت كافية لتحرك في زوجها كراهيته
السابقة للفلام ، فطرده من صحبتهم الى جانب الخدم ،
وأوقف تعليمه مع راعى الكنيسة ، وجعله يعمل كأي
غلام أجير آخر في المزرعة .

تحمل هيثكليف معاملته بشكل حسن في البداية ،
لأن كاتى أخذت تعلمه كل ما تعلمته هي وكانت تعمل
أو تلعب معه في الحقول ، فالانسان كانا ينموان في
توحش ووقاحة قامة . أما السيد الصغير ، فلا يحبها
كلية بسلوكهما ، طالما أنهما يبعدان عنه .

وكانت إحدى تسلياتهم اللجوء الى البقاع في
الصباح ، ويظللان هناك طوال اليوم .. وكان العقاب
الذى يلى ذلك مجرد شيء يضحكان عليه : وينسيان
كل شيء في الدقيقة التى يلتقيان فيها سويا .. !

الفصل التاسع

المغامرة التعسة

تصادف فى يوم من أيام الآحاد أن أبعدت كاترين وهيثكليف من غرفة الجلوس بسبب الضججة التى يحدثانها . وعندما ذهبت لأناديهما على العشاء ، لم أستطع العثور عليهما فى أى مكان . وفى النهاية طلب هندل منا فى حنق أن نغلق الأبواب ، وأقسم ألا يسمح لهما بالدخول فى تلك الليلة .

ذهب الجميع الى النوم فيما عداى ، اذ لم يأتنى نوم لقلقى عليهما ، ففتحت نافذتى ، وأطللت برأسى متصنتة ، فسمعت ، بعد فترة خطوات خفيفة على الطريق ، ورأيت هيثكليف بمفرده . فصرخت :

— أين الأنسة كاترين ؟ عسى ألا يكون حدث لها
أى مكروه !؟ •

فاجاب :

— انها فى مزرعة تراش كروس • دعينى أخلع
ملابسى المبتلة ، وسأخبرك بكل شئ •

فنبهته بأن يحرص على عدم ايقاظ السيد •
فاسترسل قائلاً وهو يغلق ملابسه :

— هربنا أنا وكاتى من المنزل لناخذ ساعة أو
ساعتين من الحرية ، ولما لمحنا أضواء المزرعة ، فكرنا أن
ندخل ونرى كيف تقضى عائلة لنتون أمسيات أيام
الآحاد • وركضنا من أعلى المرتفعات الى المزرعة بدون
توقف • • لقد انهزمت كاترين تماما فى السباق ، لأنها
كانت حافية القدمين • عليك أن تبحنى عن حذائها فى
المستنقع غدا • وزحفنا عبر سياج مكسور ووقفنا على
حوض زهور تحت النافذة • وبتسلقنا الحافة السفلية
استطعنا أن نرى • • آه • • انها جميلة جدا ! • • حجرة
رائعة بكراسى مغطاة بالأحمر وموائد وأرائك ، وسجادة

حمراء ، وسقفا أبيض نقي محاطا فى حوافه بالذهب ،
 ووابلا من قطرات الزجاج تتدلى فى سلاسل فضية
 من المركز ، وتسطع بأضواء صغيرة متلألئة ... وكان
 ادجار وأخته وحدهما هناك .. خمنى ماذا كانا يفعلان !
 .. ايزابيللا .. واعتقد أن عمرها نحو أحد عشر عاما ..
 تصرخ فى طرف من الحجرة .. ويبكى ادجار وهو واقف
 بجوار المدفأة ، ويجلس كلب صغير فى وسط مائدة ،
 وكانا يجذبان الكلب حتى كادا أن يقسمانه نصفين .
 كانت هذه متعهما ! .. وضحكنا على هذه الأشياء
 المدللة . هل تجديننى راغبا فيما تريده كاترين ؟ اننى
 لا أبدل حالى هنا بحال ادجار لنتون فى مزرعة تراش
 كروس ، ولا مقابل ألف حياة !

مقاطعة قائلة :

— تكلم بهدوء أكثر ، مازلت لم تخبرنى كيف
 تركت كاترين ؟

فاجاب :

— قلت لك ضحكنا ، فسمعنا الأخوان لنتون ،

وبدأ يصرخان طالبان بابا وماما .. فقمنا بضوضاء مزعجة لنخفيهما أكثر ، ثم القينا بأنفسنا من حافة النافذة بسبب قدوم أحد الخدم . وأمسكت كاتى من يدها ، وأخذت أحنها على الأسراع عندما سقطت فى الحال . وكانوا قد أطلقوا كلب الحراسة فأمسك بقدمها .. ولم تصرخ .. كلا ، وإن فعلت لكأنت موضع ازدراء .. وأمسكت بحجر ودفعت به بين فكى الحيوان . ثم خرج خادم ، وأبعد الكلب وحمل كاتى . كانت فى حالة اعياء ، لا من الخوف ، أنا متأكد ، ولكن من الألم .

ونادى السيد لنتون من المخل :

— « على من قبضت يا روبرت ؟ »

فاجاب :

— « بندقية صغيرة يا سيدى ، ويوجد ولد يبدو

أنه لص » .

ثم انصاف وهو يقبض على :

« من فضلك جهز بندقيتك يا سيد لنتون » .

وجذبني تحت الضوء ، ووضعت السيدة لنتون

مرتفعات — ٦٥

نظارتها على أنفها ورفعت يديها في فزع ، وتسلسل
الطفلان مقتربان ، وصرخت ايزابيللا :

- « احبسه يا أبى ، انه يشبه بالضبط ابن
الفجرى الذى سرق عصفورى » . وفى هذه اللحظة
استمادت كاتى وعيها من اغماؤها ، وسمعت الحديث
الأخير فضحكت . وتعرف عليها آنشد ادجار . انهم
يرونا فى الكنيسة ، تعرفين . وهمس لأمه :

- « انها الآنسة ايرنشو ! » .

- « الآنسة ايرنشو ؟ مستحيل ! الآنسة ايرنشو
تركض فى البلد كالفجرية ! .. وقدمها تدمى ؟ ! » .

وقال السيد لنتون متعجبا :

- « باهمال أخيها ! فى أن يدعها تنشأ هكذا !
ومن أين انتقت رفيقها ؟ ولد شرير ، ولا يليق بمنزل
محترم . هل استمعت لألفاظه ؟ »

فبدات العن ثانية ، وهكذا أمروا الخادم أن
يطردنى . كانت ستارة النافذة مازالت مسحوبة جزئيا ،

فوقفت أراقب ، لأننى اذا رأيت كاتى ترغب فى العودة
لكسرت الزجاج ، الا اذا تركوها تخرج .. ورأيتهما وقد
جلست فى هدوء على الكتبة . واحضرت الحادعة حوضا
من الماء الدافئ ، وغسلت قدميها ، وأعطاهما السيد
لنتون شرابا ساخنا ، ووضعت ايزابيللا طبقا مملوا
بالكعك على ركبتها . وبعد ذلك جففوا شعرها الجميل ،
ومشطوه ، وأجلسوها بجوار المدفأة ، وتركتهما فى أقصى
حالات المرح جالبة شرارة حياة لعيون عائلة لنتون
الزرقاء القبية . لقد رأيتهما مملوءين بأعجاب غبى .
انها أعلى منهم مقاما ، ومن أى أحد آخر على الأرض ..
اليس كذلك ؟

فقلت :

— سيكون ذلك مصدر ازعاج عندما يعرف ذلك
السيد هندلى يا هيثكليف !

وتحققت كلماتى أكثر مما وددت . غضب هندلى ،
وزارنا السيد لنتون وتكلم مع السيد الصغير عن
مسئوليياته نحو أخته . ونتيجة لذلك أبلغ هيثكليف
بأنه سوف يطرده اذا تكلم مع كاترين مرة ثانية !

الفصل العاشر

عودة كاترين للبيت

بقيت كاتى فى مزرعة تراش كروس خمسة
أسابيع حتى الكريسماس .. شفى أناءها قدمها وتحسن
سلوكها . وتعلمت الاستمتاع بالملابس الجميلة والاعجاب
بها ، ولذلك فبعد أن كانت كائنا صغيرا متوحشا غير
متمدين ، تقفز بلا قبعة الى المنزل وتندفع صاعدة اليها ،
أصبحت الآن فتاة صغيرة حسنة الملبس حريصة جدا على
مظهرها . . وقفزت برشاقة من على فرش أسود
جميل . وساعدها هتدل . وهو يتعجب قائلا :
- لماذا ، يا كاتى ، انك جميلة جدا ! تبدين
سيدة الآن !

وجاءت الكلاب تقفز مرحبة بها ، ولكنها لم تجرو
أن تلمسهم خوفا من أن يتلفوا فستانها الرائع •
وقبلتني بحذر ، اذ كان على أثر من الدقيق الذي كنت
أعد به كعكة الكريسماس • ثم نظرت حولها باحثة
عن هينكليف •

كان من الصعب العثور عليه في البداية •• فقد
تم إهمال أمره منذ غياب كاتى عن البيت •• ولم يكن
هناك أحد غيرى يستطيع أن يحثه على الاستحمام ••
وكانت ملابسه متسخة بالوحل والتراب من كثرة
الشفل ، وشعره الكثيف غير مشط ووجهه ويداه في
حاجة الى الماء والصابون • وكان له عذره في الاختباء •

فصرخ السيد هندي مستمتعا باذلاله :

— هينكليف ، يمكنك الظهور ، يمكنك أن تتقدم
وترحب بالآنسة كاترين مثل بقية الخدم !!
طارت كاتى لتقبل صديقها سبع أو ثمان مرات
على حده ، ثم توقفت ، وانسحبت للخلف وانفجرت في
الضحك متعجبة :

— لماذا تبدو هكذا أسود قبيح المنظر ؟؟ ولكن
هذا لأنى اعتدت على ادجار ، وايزابيللا لتتوّن .

فقال هنرى فى صوت متعال :

— صافحها يا هينكليف !

ولكن الأنفة والحجل جعلتا الفلام لا يتحرك . .

وقال أخيرا :

— لن أفعل . ولن أقف لتسخرؤا منى !

وكان سيفلت من حلقتنا ، ولكن الأنسة كاتى
أمسكت به ثانية ، وقالت :

— اننى لا أقصد أن أسخر منك . لقد كنت فقط

تبدو غريبا جدا . فأنت متسخ جدا !

وبدت قلقة على فستانها خوفا من أن يكون قد
بتعه . وقال متتبعا عيئها :

— لم يكن من الضرورى أن تلمسينى ، وسأبقى
متسخا كما أحب !

وبذلك اندلع خارجا من الحجرة متبوعا بصحركات
سيدى وسيدتى . وتكدرت كاتى ولم تستطع أن تفهم
حدة مزاجه .

كانت الليلة السابقة ليوم الميلاد الكريسماس ،
وذهب جوزيف للصلاة . وجلست بمفردى فى المطبخ
متذكرة سيدى الكبير ، وعطفه على . ومن هذه الأفكار
انتقلت الى غرامه بهيثكليف ، وخوفه من أن الولد قد
يعانى الإهمال بعد وفاته .

كانت كاترين فى حجرة الجلوس مع أخيها وزوجته
تشاهد الهدايا التى اشتروها لها لتعطيها لعائلة لنتون ،
ووجدت هيثكليف فى الأسطبل . فقلت له :

— أسرع يا هيثكليف . دعنى أجعلك تبدو أنيقا
قبل ما تخرج الأنسة كاتى ، وعندئذ يمكنكما الجلوس
سويا بجوار المدفأة فى المطبخ وتتجاذبان الحديث حتى
موعد النوم .

لكنه استمر فى شغله دون أن يلفت رأسه مطلقا .

وبقيت كاتى حتى وقت متأخر تجهز للصديقين
الجديدين ، اللذين سيزورانها فى اليوم التالى • وجاءت
الى المطبخ لتتكلم مع صديقها القديم ، ولكنه لم يكن
هناك •

الفصل الحادى عشر

عيد الميلاد غير السعيد

استيقظ هيثكليف فى اليوم التالى مبكرا ، وحيث أن اليوم كان عطلة ، فقد أخذ مزاجه الحاد وذهب الى المستنقعات ، ولم يظهر مرة ثانية حتى غادرت الأسرة البيت متوجهة الى الكنيسة .

وبدا عندئذ فى حالة عقلية أفضل . ووقف بالقرب منى لفترة ، ثم جمع شجاعته وقال :

— نيللى ، رتبى هندامى . ساكون حسن السلوك !

فقلت :

— لقد أذيت شعور كاترين . انك شديد

الكبرياء .

إذا كنت خجلا ، فيجب أن تطلب العفو . ورغم أن على تجهيز العشاء ، سأجد الوقت لتهيئتك حتى أن ادجار سيبدو كطفل بجانبك . فأنت رغم أنك أصغر منا الا أنك أطول منه وعريض الكتفين ، ويمكنك أن تطرحه أرضا في ثانية .

فاشرق وجه هيثكليف للحظة ، ثم اظلم ثانية حين قال :

— ولكن يا نيللي ، أود لو كان لدى شعر أشقر وبشرة فاتحة اللون ، وأن أكون حسن الملبس وغنيا مثله !

فاضلت قائلة :

— وتصرخ على ماما ، وتجلس في البيت طول اليوم ! أوه يا هيثكليف .. انك تبدي روحا فقيرة ! انظر الآن في المرأة وأخبرني إذا لم تكن ترى نفسك جميل المنظر أيضا ، فأنت حاليا نظيف وشعرك مرتب ، وتخلصت من مزاجك الحاد . وكل ما نعرفه ، أن أباك

كان ملكا فى بلدة ما بعيدة ، وأمك كانت ملكة أيضا ،
ولقد أسرت وأنت طفل ، وأحضروك البحارة الأشرار الى
انجلترا !

وهكذا واصلت الحديث ، وبدأ هيثكليف يظهر
عليه الابتهاج ، عندما جاء صوت عجالات تتحرك على
الطريق وتدخل الساحة انقطعت محادثتنا فى الحال •
ورأينا من النافذة ادجار وايزابيلا لنتون ينزلان من
عربة الأسرة وكانا مغطيين بالفراء ، وأخذت كاترين بيد
كل منهما ، وأحضرتهما للمنزل •

وحثت رفيقى أن يذهب ويظهر مزاجه الصافى ،
ولكن لسوء حظه ، عندما فتح الباب المؤدى الى المطبخ
من أحد الجوانب ، فتحه هنرى من الجانب الآخر ،
فتقابلا ، وتضايق السيد لرؤيته نظيفا ومبتهجا ، أو
ربما تذكر كلمات السيد لنتون ، فدفعه بحدة ، وأمر
جوزيف أن يرسله الى الطابق العلوى حتى ينتهى
العشاء • وصرخ فيه :

— ابعد يا غجرى ! ماذا ! هل تحاول أن تتشبه

بمن هم أعلى منك ! انتظر حتى أمسك بهذا الشعر
الجميل . . وسترى انى سأشده حتى يطول قليلا !

وعلق ادجار لنتون من المدخل :

- انه طويل من قبل ؛ انه يشبه شعر الحصان !
لم تكن طبيعة هيثكليف العنيفة معدة لقبول
هذه الاهانة من شخص يبدو أنه يكرهه كغريم . فأمسك
بطبق صلصلة التفاح الساخنة وألقى به فى وجه
المتحدث تماما . وبدأ ادجار يصرخ ، وأسرعت ايزابيلا
وكاترين اليه . وسحب السيد هندلى هيثكليف خارجا ،
بينما أحضرت أنا منشفة المطبخ ونظفت بها أنف وفم
ادجار بشئ من القسوة ، ووقفت كاتى بجواره مرتبكة،
ومحمرة الوجه خجلا .

وقالت لادجار :

- كان لا يجب أن تتكلم معه ! والآن سيضربونه ،
وأنا أكره هذا ! اننى لا أستطيع تناول غدائى .

فيكي الشاب قائلا :

- اننى لم أتكلم معه ، لقد وعدت ماما ألا أقول له
كلمة واحدة .

فقالت كاترين بأذنها :

- حسن ، لا تصرخ ، انك لم تقتل . ان أخى
قادم . اهدأ !

وعند رؤية الوليمة على المائدة استعاد الزائران
الصغيران ابتهاجهما .. وكانا جائعين بعد رحلتها ،
ولم يحدث ضرر حقيقى . وأخذت أخدم على المائدة خلف
كرسى سيدتى . ورفعت كاتى لقمة الى شفيتها ثم
أعادتها ثانية . كان خداهما حمراوين والدموع تنهمر
من فوقهما ، فالقت بشوكتها على الأرض بسرعة وانحنى
تحت مفرش المائدة لتخفى شعورها . وظلت بائسة
طول اليوم !

وفي المساء قاموا يرقصون ، فتوسلت كاتى لاطلاق
سراح هيثكليف ، الذى حبس بأمر السيد ، حيث لم

يكن يوجد أحد ليرقص مع ايزابيللا ، ولكنها تحدثت بدون جدوى ، وكان على أن أحل محله . وزاد سرورنا بالرقص عند وصول فرقة من خمسة عشر موسيقيا وبعضهم كانوا مغنيين أيضا . وكانت السيدة فرانسيس تحب الموسيقى فقدموا لنا الكثير .

وكانت كاترين تحب الموسيقى أيضا ، ولكنها قالت أن صوت الموسيقى أحل عند قمة السلم ، وذهبت صاعدة في الظلام ، وتبعتها . وأغلقوا الباب السفلى ولم يلحظوا غيابنا مطلقا . ولم تتوقف عند رأس السلالم ، بل استمرت وتسقلت السلم الخشبي الى أعلى المنزل ، حيث كان هيثكليف محبوسا . . . ولقد استطعت أن أراها على الخروج ثانية بصعوبة بالغة . وعندما خرجت كان هيثكليف معها .

وأخبرتني بأنني لا أقصد أن أشجعها على رحيلها ولكن لأن هيثكليف لم يأكل على الإطلاق منذ عشاء الأمس ، فسأغمض عيني مرة لحداغ السيد هندي . ونزل معنا وأجلسته على كرسي بجانب المدفأة في المطبخ.

كان سقيما ولم يأكل الا قليلا . وجلس ورأسه
بين يديه وظل صامتا ، وعندما استفسرت منه عما يفكر
فيه ، اجاب :

- احاول تنظيم تفكيري .. كيف .. آخذ بشاري
من هنائي ؟ لا يهمني كم انتظر ، اذا استطعت ان انتقم
في النهاية .

الفصل الثاني عشر

نيسب صحبة على الاطلاق

وفى صباح أحد الأيام المشرقة من شهر يونيو
التالى سنة ١٧٧٨ ولد هيرتون آخر سليل لأسرة إيرنشو
القديمة .. كان طفلا جميلا ، ومع ذلك قال الطبيب
أن أمه كان لديها مرض الرئة منذ شهور عديدة ، وقد
لا تعيش طويلا .

ورفض السيد هندلى أن يصدق ذلك ، ولكن فى
أحدى الليالى انتابتها نوبة سعال وهى مستندة على
كتفه ، فرفعها على ذراعيه ووضعته فى ذراعيها حول
رقبته ، وتغير وجهها واذا بها تموت فجأة ..

وتركوا لى الطفل هيرتون فى رعايتى كلية . وكان
ابوه راضيا طالما يراه فى صحة جيدة ولا يسمعه
يبكى .

اما بالنسبة له ، فكان فى حالة يائسة . لم يكن
لديه مكان فى قلبه سوى لزوجته ولنفسه فقط ، ولم
يستطع تحمل الحسارة ، فلم يبكى ، ولم يدع الله
بالسلوان ، بل لعن كل شىء وسلم نفسه لحياة التهلكة .
وترك جميع الخدم المنزل ، ولم يبق سوى جوزيف وأنا .
وتوقف راعى الكنيسة عن زيارتنا ، ولم يقترب منا أى
شخص له احترامه سوى ادجار لنتون الذى كان يأتى
من أجل كاتى .

كانت فى الخامسة عشرة من عمرها ملكة على
منطقتنا كلها : فتاة أبية متشبهة برأيها ، ولكنها وفيّة
مخلصة بشكل مدهش . . فمازال هيثكليف يحتفظ
بمكانته فى قلبها بلا تغير . ويجد لنتون بكل سموحه
صعوبة فى أن يصبح فى مثل منزلته لديها .
ولم تظهر كاترين جانبها الوعر فى رفقة آل لنتون،

فكان لديها الادراك الطيب في أن تخجل من أن تكون
وقحة ازاء ما تلقاه منهم من حفاوة ، وحيث يتم استقبالها
بمثل هذه الأخلاق الحميدة . وكانت مفعمة بالطموح ،
فقادها ذلك أن تتخذ شخصية مزدوجة . فانخدع السيد
والسيدة الكبيرين بطرقها الجميلة ، وأصبحا مفرمين بها ،
وكسبت اعجاب ايزابيللا ، وقلب وروح أخوها .

وبعد ظهر أحد الأيام غادر السيد هندلي البيت ،
وهكذا أعطى هيثكليف لنفسه أجازة . لقد وصل عمره
حوالى ستة عشرة عاما ، وكان قد خسر فى ذلك الوقت
ميزة تعلمه المبكر ، وذبل احساسه الطفولى بالتفوق الذى
نماه السيد ايرنشو الكبير بمطغه وتأيينه . ولقد كافح
طويلا ليواكب كاترين فى دراستها واستسلم مع
الأسف . . ولكنه استسلم تماما عندما وجد أنه يجب
أن يهبط الى أدنى من مستواه السابق . وعندئذ بدأ
مظهره يعكس حالته العقلية ، ومشيته ينقصها الثقة ،

وكان يبدو سمجا قليل الكلام ، ويجد متعة فى
اثارة كراهية من يقابلهم .

كانت كاترين لا تزال رفيقة مخلصه له ، وعندما انتهى من عمله جاء الى المنزل ليجث عنها . كنت أساعدها فى ترتيب فستانها ، حيث كانت تتصرف وكان المكان كله خاص بها وحدها ، وكانت قد أعلمت ادجار لنتون بغياب أخيها .

فسالها هيثكليف :

— لماذا ترتدين هذا الفستان الحريرى . هل سيأتى أحد الى هنا ؟

فاجابت كاترين مرتبكة بعض الشيء :

— لا أعرف . . . ولكن يجب أن تكون فى الحقل الآن يا هيثكليف !

فعلق الفتى قائلا :

— ان هندلى لا يحررنا عادة من وجوده ، لن أعمل اليوم أكثر من ذلك ! . . سأبقى معك ؟

واتجه نحو المدفأة ، وترددت كاترين للحظة ، ثم قالت بعد فترة صمت :

- تكلمت ايزابيللا وادجار لتتوّن على أنّهما قد
يمران بعد ظهر اليوم . وحيث أنّها تمطر فلا أتوقع
حضورهما ، لكن ربما ..

فاستمر قائلا :

- اطلبى من نيللى أن تقول بأنك خرجت يا كاتى ،
لا تخذلىنى من أجل هذين البائسين صديقيك
السخيفين .

فاستفسرت قائلة :

- وهل يجب أن أظل جالسة معك دائما ؟
ما الفائدة التى أجنيتها ؟ أنك تبدو طفلا ولا تستطيع
التحدث بأى شىء يسلىنى !

وبدا على هيثكليف الاستياء الشديد فقال
متعجبا :

- لم تخبرينى من قبل بأننى قليل الكلام أو أنك
لا تحبين مصاحبتى يا كاتى !

فاشتكت قائلة :

- انها ليست صعبة على الاطلاق عندما لا تعرف
الناس شيئا ، ولا تقول شيئا !

فنهض هيثكليف ، ولم يكن لديه الوقت للتعبير
عن شعوره أكثر من ذلك ، لأننا سمعنا وقع حوافر
حصان على الممر الحجري بالخارج • وبعد طريقة رقيقة
دخل الفتى لتتوّن ووجهه الأشقر الوسيم يلمع بالبهجة
... ولا شك أن كاتى لاحظت الفرق بين صديقيها
حيث دخل واحد ، وغادر الآخر •

الفصل الثالث عشر

نيللي غير مرغوب فيها

قال ادجار وهو ينظر الى :

- لم احضر بسرعة ، اليس كذلك ؟

فاجابت كاترين :

- كلا ، ماذا تفعلين هنا ، يا نيللي ؟

فاجبت :

- عمل يا آنسة ! فقد اعطاني السيد هنتلي
الأوامر بأن احضر اية زيارات خاصة يقوم بها لنتون
الصغير .

فغطت من خلفي وهمسست :

- خذى نفسك وعملك وأخرجنى !

فاجبت بصوت مرتفع :

- انها فرصة طيبة الآن أن السيد غير موجود ،
فهو يكره أن أقوم بعملى وهو فى الحجره • أرجو أن
تعذرنى يا سيد اذجار !

سحبت الحرقه من يدى ، مفترضة أن اذجار
لا يمكن أن يراها ، وقرصتنى فى ذراعى بشدة •
فألمتنى للغاية • ومع ذلك فقد وجدت متعة فى عقاب
كبريائها ، لذلك نهضت وصحت قائلة :

- أوه ، يا آنسة ، انها حيلة بذينة ! فليس لك
حق فى أن تقرصينى !

فتعجبت قائلة :

- اننى لم المسك ، يا كاذبة !
وحركت أصابعها استعدادا لتكرار الفعله وكانت

أذناها حمراوين من شدة الغضب . فاجبت مظهره
العلامات على ذراعي :

— ما هذا ، أذن ؟

وضربت الأرض بقدمها ، ثم تملكها الروح الشقية
في داخلها فلطمتنى على خدى لكمة ملأت عيني بالدموع .
فصاح ادجار متعجبا :

— كاترين ! كاترين .

وبان عليه الانزعاج لغلظتها المزدوجة : الكذب
والعنف !

وأما هيرتون الصغير ، الذى يتبعنى فى كل مكان ،
وكان جالسا بجوارى على الأرض فبدأ يبكى ويثرثر عن
« العمة كاتى الشريرة » الشئ الذى حول غضبها نحوه ،
فأمسكت بكتفيه وأخذت تهزه حتى أصبح الطفل
شاحبا ، فأمسك ادجار بيديها بدون تفكير ليخلصه
منها .. وفى لحظة تحررت احدى يديها ، فمدت هذه
اليده الى أذنه وقرصته بطريقة لا يمكن أن تؤخذ على أنها
مزحة .

فتوجه الزائر المهان الى المكان الذى وضع فيه
قبعته بوجه شاحب وشفتين مرتعشتين . فسالت
كاترين وهى تتقدم نحو الباب :
- اين أنت ذاهب ؟

فاستفسر ادجار قائلا :

- هل يمكننى البقاء بعد أن ضرتينى ؟
فسكنت كاترين ، واستمر هو قائلا :
- لقد جعلتيني خائفا وخجلا منك ، ولن أحضر الى
هنا مرة ثانية !
وبدأت دموع كاترين تنهمر
ثم قال :

- كما وأنت كذبت !
- حسن ، اذهب ان أردت ! هيا ! والآن
سأبكي حتى أصاب بالفشيان !

وسقطت على ركبتيها بجانب الكرسي .

احتفظ ادجار بتصميمه حتى الساحة ، ثم تطلع خلفه من خلال النافذة . كانت لديه القوة في الابتعاد ، تماما كالقوة التي يمتلكها القط في الابتعاد حين يترك فارا شبه ميت أو طائرا ماكولا جزئيا .. وعاد وأسرع داخلا الى المنزل ثانية ، وأغلق الباب من خلفه .

وعندما ذهب فيما بعد لأخبرهما بقدم ايرنشو الى المنزل مخمورا بشكل واضح ، وجدت أن المشاجرة قد قربتهما لبعضهما ، وساعدتهما في خلع مظهر الصداقة وأقرا بنفسيهما حبيبين .

الفصل الرابع عشر

كلمات تعبر عن سوء العظ

دفع تحذيري بوصول السيد هندل ، ادجار الى
حصانه بسرعة ، وكاترين الى حجرتها ، وذهبت بسرعة
لاخفاء هيرتون الصغير ، ويسحب الرصاصه من بندقية
السيد خوفا من انه قد يستخدمها فى حالة تهيجه .

ودخل ايرنشو مهمما بسباب وشتائم بلديثة
ولحنى وأنا على وشك أن أبعد ابنه ، فالتقط الولد
صارخا . وحمله الأب المخور صاعدا به السلم . ثم
توقف وهو يترنح ، ونظر نحوى وأنا أتوسل اليه أن
يحاذر ، ولكنه مال الى الأمام ، فقفز هيرتون فجأة محررا
نفسه من المسكة الطائشة التى يمسكه بها ، وسقط !

وفى اللحظة المضبوطة وصل هيثكليف الى الطابق
الاسفل ، وبحركة طبيعية أمسك بالطفل ووضعه على
قدميه . وأصبح وجهه مكفهرًا بالغضب ونزل ايرنشو
السلم ببطء باديا عليه الحجل نوعا ما . وقال لى :

— انها غلطتك . كان يجب أن تحفظيه بمنأى عن
نظري . هل أصيب بأذى ؟

فصرخت حانقة :

— أذى ! اننى أتمنى أن تهب أمه من قبرها لترى
كيف تعامله !

واخذ زجاجة نبيذ وسكب بعضا منها فى كأس ،
وأمرنا بتفاد صبر أن نذهب ! . . فحملت الطفل الى
المطبخ وجلست لأهدئ من روعه . واتجه هيثكليف ،
على ما أظن ، الى الاسطبل . واكتشفت ، فيما بعد ، أنه
ذهب فقط الى الجانب الآخر من المطبخ حيث المنضدة ذات
المسند المرتفع وجلس مختفيا وراءها

كنت أهدد هيرتون على ركبتى ، عندما أطلت
كاتى برأسها من الباب ، وهمست :

— هل أنت بمفردك يا نيللى ؟

— أجل يا آنسة •

— أين هينكليف ؟

— يقوم بعمله فى الاسطبل •

وتبع ذلك فترة سكون طويلة ، وسقطت دمة من
على خد كاترين • وصاحت اخيرا :

— أوه ! اننى تعيسة جدا !

فاجبت :

— مسكينة ، ان من الصعب ارضائك : فلديك
أصدقاء كثيرون ، وليس لديك هموم تقريبا ، ومع ذلك
لست راضية !

فقالت وهى ترمع بجانبى بطريقتها الساحرة :

— نيللى ، هل تحتفظين بسر من أجل ؟ أريد أن
أعرف ما يجب أن أفعله • لقد طلب منى ادجار لنتون
اليوم أن أتزوجه • وقبلته • أسرعى وقولى اذا كنت
مخطئة أم لا ؟

— هل تحبينه ؟

— من تستطيع أن تقاوم ذلك ؟ طبعاً أحبه .

— ولماذا تحبينه يا آنسة كيتي ؟

— حسن ، لأنه حسن المظهر ، وحلو المعشر !

— وماذا أيضاً ؟

— وسيكون ثرياً ، وسوف أحب أن أكون أعظم

سيدة في المنطقة !

— اذن لماذا أنت غير سعيدة ؟ سيفرح أخوك

بذلك . . . والسيد الكبير والسيدة الكبيرة لن يعترضا ،

على ما اعتقد . . . سوف تهربين من منزل مضطرب ، خال

من أسباب الراحة الى منزل ثرى محترم . فاين

الصعوبة ؟

فاجابت كاترين واضعة يد على جبهتها واخرى

على صدرها :

— هنا . . . وهنا ! حيث تعيش الروح . ففى

وروحى وفى قلبى أنا متأكدة من اننى مخطئة .

وجلست بجانبى وأصبح وجهها أكثر حزنا
وارتعشت يداها ..

- ليس لى الحق أن أتزوج ادجار لنتون ، وإذا لم
يدفع أخى هذا الشرير هيثكليف الى الحالة المتدنية التى
أوصله اليها ، لما فكرت فى ذلك ، فزواجى من هيثكليف
حاليا سوف يحط من قدرى ، وهكذا ، سوف لا يدرك
كم أحبه .. وذلك ، لا لأنه حسن المظهر ، يا نيللى ،
ولكن لأنه نفسى أكثر منى أنا !

وسمعت حركة طفيفة قبل انتهاء الحديث ، فأدبرت
رأسى فرأيت هيثكليف ينهض من المقعد ويتسلسل
خارجا . لقد أنصت حتى سمع كاترين تقول انه قد
يحط من قدرها لو تزوجته ، وخرج عندئذ ..

الفصل الخامس عشر

هروب هيثكليف

حشت رفيقتي على التكلم بصوت منخفض
فسالت وهي تنظر حولها بعصبية :

— لماذا ؟

فاجبت :

— ان جوزيف هنا ، واعتقد ان هيثكليف على
وصول .

فقالت :

— اوه ، انه لا يستطيع ان يسمعنى من هنا !
اعطينى هيرتون اثناء قيامك باعداد العشاء ، ودعيني

اتناوله معك .. أريد أن أخدع ضميري وأجعله يؤمن
بأن هيثكليف ليست لديه أية فكرة عن شعوري نحوه ،
ليست لديه أية فكرة عن ذلك .. أليس كذلك ؟ ..
انه لا يعرف كيف يكون حال الانسان عندما يحب ؟
فاجبت :

- اننى لا أرى سببا يجعله لا يعرف ، كما تعرفين
انت .. واذا كان هو يحبك ، وكنت صغيته ، فهو
أنعس مولود على الاطلاق ! .. فعندما تصبحين زوجة
للتنون ، سيفقد صديقه وحبيبته وكل شيء ! .. هل
فكرت كيف ستتحملين الانفصال ، وكيف سيتحمل هو
أن يتركك بلا صديق على الاطلاق فى هذا العالم ؟!

- يترك بلا صديق ! نفصل ! كلا ، طالما أحياء !
يجب أن يتخلص ادجار من كراهيته له .. نيللى ، ألم
يخطر ببالك مطلقا بأننا هيثكليف وأنا اذا تزوجنا
سنصبح معدمين ، ولكننى اذا تزوجت ادجار فسنستطيع
مساعدة هيثكليف بأن يعلو فى الحياة ، وأخرجه من تحت
سلطة أخى ؟

- بنقود زوجك ؟! .. ان هذا لأسوأ سبب تعطيه
لتكونى زوجة للفتى لتتون .

- انه ليس كذلك ! انه أفضل سبب ! هذا من
أجل الشخص الذى ... لا أستطيع التعبير أن حبي
لادجار يشبه أوراق الشجر فى الغابات : ستتغير مع
الزمن ، كما تتغير الأشجار فى الشتاء . أما حبي
لهيثكليف ، فهو يشبه الصخور الجامدة الثابتة : مدعاة
لبصيص من الابتهاج المحسوس .. لكنه ضرورى
لوجودى .. نيللى ، انى أشعر بأننى هيثكليف نفسه !
.. أنه دائما فى عقلى ، لا كمصدر سرور ، ولكن كجزء
منى !! .

- إذا أمكننى أن أفهم أى شىء من كلامك الفارغ
يا آنسة ، فأعتقد أنك لا تدريين أى شىء عن
الواجبات التى تأخذينها على نفسك بالزواج ، واما أنك
فتاة شريرة !

وانهى دخول جوزيف حديثنا ..
ومرت الساعات ولم يظهر أى أثر لهيثكليف ،

وأصبحت كاترين قلقة ، خاصة عندما أخبرتها بأنه فى الحقيقة قد سمع طرفا كبيرا من حديثها !

- يا ترى أين هو .. ماذا قلت ؟ لقد نسيت ..
هل تضايق بسبب عصبيتى اليوم ؟ أود لو حضر ..

كانت ليلة حالكة الظلام ، رغم أننا فى الصيف ،
وحول منتصف الليل ، وبينما كنا جالستين ، هبت
عاصفة فوق المرتفعات فى صحب كامل .. فكانت
الرياح عنيفة ، وكذلك كان الرعد والبرق ، وعمل كل
منها على تمزيق شجرة عند منعطف المبنى ، وتحطيم
جزء من المدخنة الشرقية .

ظلت كاترين فى الخارج بجانب البسابة منتظرة
هيثكليف ، متصنئة منادية . غير عابثة بالطقس ،
فابتلت حتى الجلد . ولم نخلع ملابسها المبللة ، ووجدتها
فى الصباح لا تزال جالسة بالقرب من المدفأة . كانت
ترتعد لا اراديا وأمرنى هندلى أن أذهب بها الى فراشها .

لن أنسى مطلقا المنظر ، عندما وصلنا الى غرفتها ،

لقد ازعجني .. اعتقدت أنها ستصاب بالجنون ، ورجوت
جوزيف أن يركض لاحضار الطبيب . كانت بداية
حمى شديدة .. وأعلن الطبيب أنها مريضة بشكل
خطير ، وأخبرني أن أطعمها سوائل فقط ، وأن آخذ
حذري حتى لا تلقى بنفسها من النافذة ، ثم انصرف ،
حيث كان لديه عمل كثير بالمنطقة المليئة بالمساكن
المتناثرة .

لم اكن ممرضة لطيفة ، أما جوزيف
والسيد ، فلم يكونا أفضل مني .. كانت كاتي متعبة
ويصعب التحكم فيها كأي مريض . وقامت السيدة لنتون
بعدة زيارات لنا ، وعندما بدأت كاترين تسترد
صحتها ، أخذتها الى مزرعة تراش كروس . ولكن
السيدة المسكينة مسز لنتون أصيبت بالحمى هي
وزوجها وتوفيا في خلال أيام ، الواحد تلو الآخر .

وعادت فئاتنا الشابة أكثر غرورا وأصبح مزاجها
أكثر عنفا .. ولم نسمع عن هيثكليف مطلقا منذ ليلة
العاصفة الرعدية . وفي أحد الأيام كنت سيئة الطالع ،

والقيت اللوم عليها فى سبب اختفائه . ومنذ تلك الفترة ولمدة شهور عديدة ، لم تتكلم معى الا باعتبارى مجرد خادمة .. لقد اعتبرت نفسها سيدة الآن ، ومديرة المنزل ، واعتقدت أن مرضها الأخير أعطاها حقا خاصا فى الرعاية . ولقد قال الطبيب أنها لن تتحمل أن يقف الناس كثيرا ضد رغباتها ، وأنها يجب أن تترك على حريتها لذلك ، لم يجروا أحد أن يعصى لها أمرا ، وانزعج أخوها بالتهديدات الخطيرة لبعض النوبات التى كانت تصيبها غالبا أثناء غضبها ، فسمح لها بما تشاء ، ليتجنب إيقاظ مزاجها المضطرب .

وبعد وفاة والده بثلاث سنوات قادها ادجار لنتون الى الكنيسة ، وتزوجها ، معتقدا أنه أسعد رجل فى الوجود ..

الفصل السادس عشر

العودة

غادرت مرتفعات وذرينج وكان ذلك ضد رغبتى
لاذهب مع كاتى الى منزلها الجديد . وكان هيرتون
الصغير فى حوالى الخامسة من عمره ، وكنت قد بدأت
لتوى فى تعليمه حروف اسمه . فكان فراقا حزينا لى
وله .

وأصبحت كاترين ، فى مزرعة تراش كروس ،
افضل كثيرا مما كنت أتوقعه . وبدأت مفرمة جدا
بادجار ، وأبدت حتى لأخته كثيرا من العاطفة . ولاحظت
خوف السيد ادجار عميق الجذور فى أن يتسبب فى

أدنى استياء لها .. وتعلمت أن أكون أكثر حرصا مع
لساني حتى لا أتسبب في اغضاب سيد رحيم مثله ..
وفي خلال النصف عام ، وقد البارود مسالما كالرمل ،
لأنه مازال بعيدا عن النار التي تفجره .. وكانت
كاترين تعاني من الكآبة والصمت من حين لآخر ، وكان
زوجها يحترم ذلك كنتيجة لمرضها السابق ، ولكنني
أعتقد أنهما كانا يستحوزان حقا على سعادة عميقة
نامية .

ولكن هذه السعادة انتهت فجأة ..

ففي أمسية ذهبية من شهر سبتمبر كنت قادمة
من الحديقة بسلة من التفاح الذي قمت بجمعه ، والظلام
ليس كاملا ، فالقمر يطل من فوق جدار الساحة
ويصنع ظللا غريبة في أركان المبنى .

كانت عيناى على القمر ، عندما سمعت صوتا من
خلفي يقول :

- نيللى ، هل هذه أنت ؟!

كان الصوت عميقا وغريبا في رنته ، ومع ذلك
هناك شيء في طريقة نطقه لاسمى جعلته مألوفاً لأذني .
وتحرك شخص ما قرب باب المنزل ، وعندما اقتربت
رأيت بوضوح أكثر ، رجلاً طويلاً في ملابس داكنة .
ففكرت في نفسي :

– من يمكن أن يكون هذا ؟

وسقط شعاع من الضوء على وجهه . كان الحدان
شاحبين ونصف مغطيين بالشعر الأسود . وكانت الجبهة
بارزة ، والعينان غائرتين وغريبتين . لقد تعرفت على
العينين **فصرخت :**

– ماذا ! لقد عدت ؟ أنه أنت حقا ؟!

فاجاب وهو ينظر الى التوافد :

– أجل ، اننى هيثكليف . هل يوجد أحد
بالمنزل ؟ تكلمى ! أريد كلمة واحدة منها . من
سيدتك . اذهبى وقولى أن شخصا من قرية جيمرتون
يرغب في رؤيتها .

- كيف ستتقبل ذلك ؟ كم تغيرت أنت ! هل كنت جنديا ؟

فقاطعنى قائلا :

- اذهبي وبلقي رسالتي ، وأنا فى عذاب حتى تفعلين !

وعندما وصلت الى غرفة الجلوس ، كان السيد والسيدة لنتون جالسين سويا عند نافذة يطلان منها على الأشجار والمنتزه الممتد الى الوادى وقرية جيمرتون .. وكان كل شئ يبدو فى سلام مدهش ، ولم أقدر على الكلام .

كنت فى طريقى لأن أغادر بالفعل دون أن أتفوه بالكلام ، عندما أجبرتنى حاسة غبائى الشخصى على العودة وتبليغ الرسالة .

- اغلقى الستائر يا نيللى ، واحضرى الشاي .
سأعود ثانية حالا .

وغادرت الحجرة وسأل ادجار بلا مبالاة من القادم .

- شخص ما لا تتوقعه السيدة . انه هيثكليف
يا سيدى ، الذى كان يقيم عند عائلة السيد ايرنشو .

- ماذا ! الفجرى .. فتى المحراث ؟

- حاذر ! لا يجب أن تدعوه بهذه الأسماء
يا سيدى . لقد كانت محطة القلب تقريبا عندما
هرب .

وبعد فترة قصيرة ، طارت كاترين صاعدة
السلام بوحشية وفاقدة النفس وقالت متعجبة وهي
تلقي بلذاعيتها حول زوجها :

- أوه ، ادجار ، ادجار .. هيثكليف عاد !!

فصاح زوجها فى صوت مكتئب :

- حسن ، حسن ، لا داعى للتأثر هكذا !

فاجابت وهي تتراجع بفرحها قليلا :

- أعرف أنك لا تحبه ، ومع ذلك ، من أجل
خاطرى ، يجب أن تصبحا صديقين ، الآن .. هل أقول
له أن يصعد ؟

فقال :

- هنا ؟ أليس المطبخ مكان البق به ؟

فتطلعت السيدة لتتوّن اليه بنظرة نصف غاضبة
ونصف ضاحكة ، ثم أجابت بعد فترة :

- كلا ، اننى لا أستطيع الجلوس فى المطبخ .

وكانت على وشك أن تركض ثانية ، ولكن ادجار
أوقفها ، وقال يخاطبني :

- اطلبى منه أن يصعد .. وأنت يا كاترين ،
لا داعى أن يشاهد أهل البيت جميعهم ، منظر ترحيبك
بخادم هارب وكأنه أخوك !

الفصل السابع عشر

ترحيب ولا ترحيب

تبعنى هيشكيليف صاعدا السلالم دون أن يتكلم ، وأوصلته الى حضرة السيد والسيدة اللذين كانت خدودهما الحمراء تدل على آثار خلاف ساخن . وقفزت السيدة للأمام وأخذت يديه وقادته الى لنتون ، ثم أمسكت بأصابع لنتون المعارضة وضغطت بهم على يدى هيشكيليف .

ظهر الآن ، على ضوء الشموع والمدفأة ، التغير الذى طرأ على هيشكيليف وأثار دهشتى أكثر من قبل . لقد أصبح رجلا طويل القامة ، نشطا ، رشيق القوام ،

وقد بدا سيدى بجانبه مجرد شاب صغير ، كما أن
وقفتـه المفرودة كانت تدل على أنه التحق بالجيش .
وكانت قسـمات وجهه تعبر عن الوقار والحزم . . لقد
اختفت نظرات الحزى والانكسار ، وحلت مكانها نظرات
الذكاء والفطنة ، وتكمن شراسة شبه متحضرة فى عينيه ،
ولكن سلوكه كان جادا ، فيه تهذيب ، وخاليا من
الحشونة ، وفاقت دهشة سيدى دهشتى ، وتحير للحظة
فى كيفية استقبال صـبى المحراث ، كما كان يدعو ،
وقال فى النهاية :

— اجلس يا سيدى ، ان السيدة كاتى ترغب فى
استقبالك هنا وبالطبع يسرنى أن البى طلبها ، وأدخل
السـرور على قلبها !

فاجاب هيشكليف :

— وأنا أيضا ، وسأبقى لمدة ساعة أو ساعتين !
وأخذ مقعدا قبال كاترين التى راحت تحدق فيه ،
أما هو فلم يرفع عينيه نحوها كثيرا ، لكن فى كل مرة

كان يرمقها ، كانت عيناه تعبران عن سعادته الخالصة
لوجوده بقربها . وصاحت كاترين :

— غدا سأعتقد هذا حلما ، ومع ذلك فانت
لا تستحق هذا الترحيب يا هيثكليف ، يا قاسي ..
كيف طاوعك قلبك أن تبقى بعيدا ثلاث سنوات دون أن
تبعث ولو بكلمة ؟!

فاجاب :

— انك لم تفارقي مخيلتي أبدا ، لقد سمعت
بزواجك يا كاتى قبل أيام قليلة ، وعندما حضرت الى
هنا ، كنت أنوى القاء نظرة عليك . ثم اذهب وانتقم
من هندلى ، وأنهى حياتى ، غير أن استقبالك لى وضع
حدا لأفكارى هذه . لقد كافحت كفاحا مريرا منذ آخر
مرة سمعت صوتك فيها ، وأرجو أن تغفر لى . لأنى
كافحت من أجلك فقط !

وقاطعه لتتوّن محاولا أن يتكلم بصوته العادى :

— كاترين ، أرجو أن تاتى للمائدة . والا سنشرب
الشاي باردا .

أخذت كاترين مكانها ، وجاءت الأنسة ايزابيللا...
وانتهت جلستهم فى دقائق لم تستطع كاترين الاكل
ولا حتى الشرب ، وابتلع ادجار بالكاد قطعة من
الكعك .

لم يبق ضيفهم أكثر من ساعة ، وسأله قبل أن
ينصرف ان كان سيذهب الى جيمرتون ، فأجابنى :

— كلا ، اننى ذاهب الى مرتفعات وذرينج ، لقد
ذهبت صباحا متوقعا أن أراك هناك يا نيللى ، لتنبئنى
بأخبار كاترين ، فالتقيت بأشخاص يلعبون الورق
فشاركتهم اللعبة ، وعندما لاحظت هندلى أننى أملك مالا
كثيرا الآن ، دعانى لزيارته مرة أخرى . سأحاول أن
أبقى هناك ، لأكون قريبا من كاترين . ان هندلى رجل
جشع ، وسأدفع له ما يسد جشعه !

فقلت لنفسى :

— السيد هندلى يدعو له ؟! أليس من الأفضل
لهشكليف أن يبقى بعيدا ؟؟

الفصل الثامن عشر

الآنسة ايزابيلا

أخذ هيثكليف - الذى يجب ان أناديه فى المستقبل بالسيد هيثكليف - يتردد الى مزرعة تراش كروس بشكل حذر فى البداية . ورات كاترين أيضا أن من الحكمة أن تكون معتدلة فى اظهار سرورها فى استقباله . وزال قلق سيدى ادجار ثم تحول قلقه بعد ذلك الى اتجاه آخر .

لقد ظهر سبب جديد للقلق من متاعب جديدة لم نتوقعها . . ذلك بأن ايزابيلا قد انجرفت منجذبة بشكل مفاجئ نحو الزائر ، وكانت آنذاك قد بلغت

الثامنة عشرة من عمرها ، طفلة فى سلوكها حادة الذكاء ، عصبية المزاج اذا أثرت . أما أخوها الذى كان يحبها باعزاز ، فقد أقلقه هذا الوضع ، وخاصة أن زواج أخته من شخص مجهول الأصل يلحق العار به وبمائلته ، وكان يحس أن طبيعة هيثكليف لم تتغير ، رغم أن مظهره الخارجى قد تحسن كثيرا .

لقد لاحظنا فى الآونة الأخيرة ، أن ايزابيللا شاحبة الوجه تعيسة صعبة الارضاء . . ولقد أعطيناها العذر الى حد كبير لضعف صحتها بصفة عامة . وعندما حددتها كاترين ، فى أحد الأيام ، بأنها سترسل أحدا لاستدعاء الطبيب ، صرخت ايزابيللا فى الحال بأن صحتها فى حالة جيدة جدا وأن ما يتسبب فى شقائها هو سوء معاملة كاترين لها !

فصرخت كاترين باستغراب :

— معاملتى لك خشنة يا ايزابيللا ؟ ومتى عاملتك بخشونة ؟ تكلمى . . !!

فاجابت ايزابيلا باكية :

– البارحة

– البارحة ؟ متى ؟

– عندما كنا نسير قرب المستنقعات مع هيثكليف.
طلبت منى أن ابتعد عنكما ، بينما بقيت انت معه !

فقالت كاترين ضاحكة :

– وهل هذه هى فكرتك عن معاملتى السيئة ؟

– لقد رغبت فى ابعادى ، لانى أردت أن اكون
مع... .

فقالت كاترين وهى ترى ترددها :

– حسن ؟

– أن اكون معه ، ولا أبعد عنه ! انك أنانية
يا كاتى ، فأنت لا تريدین الحب لأحد غيرك !

– أتمنى أن اكون قد أخطأت فهمك ، يا ايزابيلا؟

- كلا ، لم تخطئى .. فانا أحبه أكثر مما تحبين
ادجار ، ولا بد أن يبادلنى الحب اذا تركت له المجال !

فكالت كاترين :

- ان جهلك لشخصية هيثكليف الحقيقية يجعلك
تحلمين وكأنه ذو قلب من ذهب ، انه رجل عنيف ،
قاس ، لا رحمة فى قلبه .. ولا يمكن أن يقع فى حب
أى شخص ينتمى لعائلة لنتون ، وان فعل ذلك فيكون
رغبة فى السيطرة على مالك . هذه هى صورتي عنه ،
وأنا صديقتة وأعرفه جيدا ..

فصاحت ايزابيلا :

- يا للعار ! يا للعار ! انك أسوأ من عشرين
عدو ، انك صديقة سامة !

فقلت :

- ابعديه عن تفكيرك يا آنسة ، لقد تكلمت السيدة
كاترين بشدة ، لكنى لا أستطيع القول أنها مخطئة ،
فلديها علم بقلبه أكثر منى أو من أى شخص آخر ..

والناس الأشراف لا يخفون أفعالهم . فكيف كان يعيش ؟ وكيف أصبح غنيا ؟ . ولماذا يبقى في مرتفعات وذرينج مع رجل هو يمقته ؟ . أنهم يقولون أن السيد هندلى أصبح أسوأ وأسوأ منذ أن حضر . فهم يجلسون يلعبون الورقة طوال الليل ، ويشربون ويقترض هندلى المال بضمان أرضه ليدفع ديونه .

فاجابت :

— انك سيئة كالآخرين يا نيللى ، اننى لن أستمع لقصتك ؟

وفى اليوم التالى ، اضطر السيد ادجار أن يذهب الى احدى المدن القريبة ، لينهى بعض أعماله ، وعلم هيثكليف بذلك فحضر مبكرا عن المعتاد . وكانت كاترين وايزابيللا جالستين فى المكتبة والصمت والجفاء يخيم عليهما . اذ كانت الأنسة الصغيرة قد انزعجت لحماقتها الأخيرة فى اظهار شعورها المكنون ، بينما كانت كاترين تشعر بالاهانة ومهينة لمعاقبة رفيقتها . . وضحكت كاترين عندما رأت هيثكليف يمر من خلف

النافذة ، بينما كانت ايزابيللا تميل براسها على كتاب
فطلت غير واعية باقتراب الزائر حتى فتح الباب ،
واصبح الوقت متأخرا لكى تهرب ، رغم انها كانت تود
ان تفعل ذلك .. فهتفت كاترين بفرح وهي تسحب
كرسيها الى المدفأة :

- ادخل يا هيثكليف . انك الشخص المناسب
الذى نختاره نحن لصحبتنا .. اقدم لك ، وكل
فخر ، من يفرم بك أكثر منى . انها ايزابيللا
أخت زوجى الصغيرة المسكينة ، ان قلبها يتحطم من
أجلك ! لا ، لا يا ايزابيللا ، لن تهربى !!

قالت الجملة الأخيرة وهي تمسك بمعصم الفتاة
التي حاولت النهوض .. ولم يبد هيثكليف أى اهتمام ،
أما ايزابيللا فقد همست راجية كاترين أن تتركها ،
ولكن كاتى صرخت قائلة :

- بالطبع لا ! فانا لا أحب أن ينعتنى أحد
بالأنانية . هيثكليف ، لماذا لا يبدو عليك الفرح !؟

نظر هينكليف الى ايزابيللا نظرة جامدة وقال :

— اعتقد انك مخطئة ، فهي تود أن تهرب من
لقاتي حاليا ، على أية حال !

لم تستطع الفتاة المسكينة تحمل ذلك . وأخذ
وجهها يتبدل بين الشحوب والاحمرار . وبقيت كاترين
متمسكة بها لا تسمح لها بالافلات الى أن بدأت في
استخدام أظافرهما . وسألها هينكليف عندما خرجت
وأغلقت الباب من خلفها :

— لماذا تعذبين هذه المخلوقة المسكينة بهذه
الطريقة يا كاتي ؟ انك لم تصدقي القول ، اليس
كذلك ؟!

اجابت :

— أؤكد لك اننى قلت الصدق !

فسال بعد فترة وجيزة :

— اليسست هى الوريثة الوحيدة لشقيقها ؟

فاجابته كاترين :

- أجل ، الا اذا أنجبت ولدا • انسى هذا الموضوع •• انك مغرم بالتفكير في ممتلكات الناس !
وطردا الموضوع حقا من محادثتهما ، ولكنى
شاهدت هيشكليف يبتسم لنفسه بشكل شرير عندما
غادرت كاترين الحجرة ••

الفصل التاسع عشر

النقوذ الشرير

كانت زيارات السيد هيثكليف تضايقنى كما تضايق سيدي ، أما اقامته الطويلة فى المرتفعات فكانت لغزا بلا حل ، وكان فضولى يدفعنى للذهاب اليها ، ولكن عندما أتذكر عادات السيد هندلى السيئة اليائسة ، أعود فأحجم عن الذهاب مرة أخرى لهذا المنزل التعيس .

وفى أحد الأيام ، كنت فى طريقى الى جيمرتون ومررت بالقرب من المرتفعات . كانت بعد الظهر ، وشمس الحريف الباردة تضى السماء . . . وذكرتنى

أشعة الشمس بالصيف ٠٠ واقتربت من الحجر الدال
على الطريق عبر المستنقعات ٠٠٠ كان مكاني المفضل
في صباي ٠٠٠ كنت أحبه أنا وهندلي من عشرين عاما
مضت ٠ وعندما انحنيت رأيت فتحة في أسفل
الصخرة، حيث كنا معتادين أن نحفظ يكنوزنا الصغيرة
فيها ، وما زالت مليئة بالقواقع والأحجار الملساء ، وبدا
لي وكأنه حقيقي أن أرى رفيقي في اللعب جالسا على
النجيل الأخضر ٠

ورفع الطفل رأسه وهدق الى وجهي مباشرة ،
ثم اختفى ٠ تابعت طريقتي ، وعندما وصلت الى بوابة
المرتفعات وجدته ينتظرني ، فحدثتني ظنوني بأنه لا بد
أن يكون هيرتون ، صغيري ٠٠٠ انه لم يتغير كثيرا منذ
أن تركته من عشرة أشهر ٠٠

فصرخت متناسية مخاوفي الحمقاء :

— حماك الله يا صغيري الحبيب ! هيرتون ، أنا
نيللي ٠٠ مربيبتك ! هل نسييتني ؟
فتراجع للخلف ، وانحنى والتقط حجرا كبيرا ٠

انه لم يعرفنى . وبدأت أتكلم لكن الحجر أصابنى فى رأسى وأطلق الصغير سلسلة من الشتائم ولوى بوجهه البرىء بتعابير شريرة ملأتنى رعبا ، وقبل أن يبكى سحبت برتقالة من جيبى وقدمتها له . وبعد تردد أخذها من يدى . فسألته :

— من علمك هذه الكلمات الجميلة يا صغيرى ؟
راعى الكنيسة ؟

فستمنى ، فأسرعت بتقديم برتقالة أخرى ولكنى احتفظت بها بعيدة عن متناول يده وقلت له :

— أخبرنى من يعطيك الدروس وسأعطيك هذه
البرتقالة . من هو معلمك ؟

— بابا .

— وماذا تعلمت منه ؟

فقال :

— لا شئ ، انه لا يحبنى لأننى أشتمه !

- ومن علمك الشتايم ؟!

- هيثكلييف !!

فسأله اذا كان يحب هيثكلييف :

- أجل .

وحاولت. أن أعرف السبب . فلم أفهم الا هذه
الجملة :

- لا أدري ، انه يعاقب بابا لما يفعله لى - انه
يستم والدى ويقول لى أفعل ما تريد يا هيرتون !

- الا يعلمك راعى الكنيسة القراء والكتابة ؟

- كلا . وعدنى هيثكلييف أن يكسر له أسنانه اذا

حضر .

فوضعت البرتقالة فى يده وقلت له أن يخبر
والده بأن امرأة اسمها نيللى دين ، تنتظره فى
الخارج .. ودخل الى المنزل ، وبدلا من هندلى ظهر
هيثكلييف عند الباب ، فاستدرت وأخذت أجرى مسرعة
فى الطريق خائفة ، وكأننى قد رأيت روحا شريرة !

الفصل العشرون

المشاجرة

عندما حضر هيثكليف بعد ذلك ، كانت ايزابيلا ، بالمصادفة ، تطعم الحمام فى الساحة . ولم يكن من عادته أن يظهر لها أية عاطفة خاصة ، لكن فى هذه المرة ، عندما رآها ، نظر فى حرص الى واجهة المنزل ، وكنت مختبئة خلف نافذة المطبخ . فتقدم منها وقال لها شيئا ، فبدأ عليها الاضطراب وحاولت الافلات ، ولكنه وضع يده على ذراعها ليمنع ذلك ، فاشاحت بوجهها بعيدا . وبعد نظرة سريعة الى المنزل معتقدا أن أحدا لا يراه ، أحاطها بذراعيه . وهنا صرخت قائلة :

— يا للعار ! يا للعار !

فجأني صوت كاترين من خلفي :

— من هناك يا نيللي ؟

فاجبت :

— صديقك التافه ! اننى أسائل نفسي أى عذر
سيجده ليبرر مفازلته للأنسة ، بينما قال لك أنه
يكرهها !

واقتربت كاتى وشاهدت الصراع بين هيثكليف
الذى يحاول ضمها اليه ، وايزابيللا تحاول الفرار من
بين ذراعيه ، وركضت بالفعل الى الحديقة . وبعد لحظات
فتح هيثكليف الباب . فاستوقفته كاترين قائلة :

— ماذا تريد يا هيثكليف فى عملك هذا ؟ ألم
أطلب منك أن تترك ايزابيللا وشأنها !

فاجاب بخشونة :

— وماذا يهمك فى ذلك ؟ من حقى أن أقبلها اذا

رغبت في ذلك . أننى لست زوجك لتغارى على . ولدى
بضع كلمات صريحة أود أن أقولها لك . . . أريدك أن
تعلمى أن معاملتك لى كانت مخجلة ! هل تسمعين ؟
وإذا كنت تعتقدين أنى لى انتقم لهذه المعاناة ، فأنت
مخطئة . . . وعلى كل أشكرك لأنك أطلعتنى على سر
أخت زوجك ، الذى سوف أحسن استغلاله . . . !

فقالت كاترين فى تعجب واندهاش :

— ما هذا الجانب الجديد فى شخصيته ؟

فاستمر هيثكليف قائلا بانفعال اقل :

— اننى لا أرغب فى الانتقام منك . فأهلا
بتعذيبك لى حتى الموت من أجل تسليتك . . . ولكن
اسمحي لى أن أسلى نفسى قليلا بنفس الطريقة . . . لقد
هدمت حياتى فهل تنتظرين أن أكون قديسا ؟!

فصرخت كاترين :

— أود ، انك تريد أن تدخل البؤس لقلوب الذين
حولك ، وخاصة بعد أن عاد ادجار لمزاجه الطبيعى معك

وبدأت أشعر بالارتياح والأمن ، وهكذا تصمم على إثارة الشجار ... تشاجر مع ادجار ، اذا أردت ، وخادع أخته ، لقد اخترت أفضل طريقة للانتقام لنفسك منى .

انتهت المحادثة ، وجلست كاترين بجوار المدفأة قلقة تعيسة لا تستطيع السيطرة على أعصابها .. ووقف هيثكليف عاقدا ذراعيه ، وغارقا فى أفكاره السوداء . وغادرتهما هكذا لأرى السيد ادجار الذى وصل فى هذه اللحظة ، وقلت له :

- سيدتى فى المطبخ . انها مستاءة من سلوك هيثكليف !

وشرحت له قدر المستطاع ما قد حصل . فقال :

- لم أعد احتمل هذا الوضع ! استدعى لى اثنين من رجالى يا نيللى .

ونزل السلالم وتبعته الى المطبخ حيث عاد هيثكليف وكاترين الى شجارهما ، وسكتا عند رؤيته . وقال ادجار لهيثكليف :

- لقد صبرت عليك يا هيثكليف حتى الآن ،
وسمحت لك بالدخول هنا لأن كاترين رغبت في
صيانة الصلة • لكن وجودك سم أخلاقى سيؤذى أظهر
الناس • ومنعا للشر أطلب منك مفادرة المنزل حالا
ولآخر مرة •• !

فتنظر هيثكليف اليه باستهزاء وهو يقول :

- ان حملك هذا يهددنى يا كاتى وكأنه أسد •
عندئذ أوما لى سيدى لأحضر الرجلين •• ولكن
كاتى التى ارتابت فيما سيحدث ، جذبتنى الى الحلف
وأغلقت الباب الداخلى ، وقالت لزوجها :
- ان لم تكن لديك الشجاعة لمهاجمته ، فاعتذر
عن ذلك •

حاول ادجار أن يأخذ المفتاح منها ولكنها مدعاة
للأمن ألقت به فى بالمدفأة المشتعلة •• وهنا ألت بادجار
نوبة غضب ، فأخذ يرتجف وامتعق وجهه وأصبح
كالأموات ، عندئذ قال صديقها :

- استمتعي يا كاتى بمنظر هذا الجبان الذى
فضلته على ! هل هو يبكى ، أم سيقمى عليه من
الخوف ؟!

ثم ركل الكرسي الذى كان ادجار متكئا عليه .
وهنا هجم عليه ادجار ولطمه لطمه قوية ، فترنج لها
للحظة ، وخرج من الباب الخلفى الى الساحة ومن هناك
الى المدخل الأمامى . وعند ذلك صاحبت كاترين :

- وهكذا ، سينتهى مجيئك الى هنا . انصرف
الآن ، لأنه سيمود اليك مسلحا ومعه مجموعة من
الحدم . لقد أسأت التصرف يا هيشكليف . . . !

- وهل تظنين انى سأخرج من هنا قبل أن أرد
له ضربته ؟

عاد ادجار ومعه اثنان من العمال وسائس
الاسطبل . . . وهنا فكر هيشكليف ، وقرر تجنب مواجهة
ثلاثة من الحدم فكسر قفل الباب الداخلى وهرب . أما
كاتى التى استولى عليها الاضطراب ، طلبت منى
مرافقتها الى الطابق العلوى وقالت :

— اكاد أجن يا نيللى ، فراسى على وشك الانفجار .
اطلبى من ايزابيللا أن تتجنبنى ، فهى سبب كل ذلك ،
واذا أثار أحد غضبى أكثر من ذلك فسأزداد جنونا .
واذا رأيت ، يا نيللى ، ادجار الليلة مرة أخرى ، أخبريه
بأننى مهددة بالمرض . . أريد أن أبعث فيه الخوف . .
بالإضافة الى أنه قد يأتى ويبدأ سلسلة شكواه . .
وسأرد عليه بالتاكيد ويعلم الله الى أين سننتهى ! . .
اذ لم أستطع أن أحتفظ بهيشكليف كصديقى . . واذا
حاول ادجار أن يكون غيورا وأنايا ، فسأحاول أن
أكسر قلوبهما عن طريق كسر قلبى أنا . نيللى ، أرجو
ان تهتمى بى أكثر فأنا فى حاجة الى مساعدتك !

لم أرغب فى اخافة زوجها معتقدة بأنها تستطيع
السيطرة على نفسها ، لذلك لم أقل له شيئا عندما
شاهدته يصعد السلالم . وقال بدون أى غضب فى
صوته :

— لن أبقى ياكاترين ، لدى سؤال واحد لأسأله
فقط : هل ستتخلى عن هيشكليف أم ستتخلى عني ؟

فكالت سيدتى مقاطعة :

- بحق السماء ! دعنا من هذا الحديث الآن ! ألا ترى اننى لا أستطيع احتمال المزيد ؟

- أجيبى عن سؤالى • فعنفك لم يعد يفرغنى •
ويمكنك ان تكونى هادئة عندما تريدین •

- أرجوك أن تتركنى ••• ألا ترى اننى لم اعد قادرة على الوقوف !؟

واخذت تضرب الجرس حتى كسر ، وكنت أنتظر بالخارج ولكنى لم أسرع بالدخول • كان حنقها كافيا ليجعل القديس يفقد أعصابه ، اذ رقدت هناك وأخذت تخبط برأسها على ذراع الكنبه وتجز على أسنانها ، ووقف ادجار متطلعا اليها فى قلق مفاجئ ، وطلب منى أن أحضر ماء ، فهيمست قائلة :

- لا تخف !

لم أكن أريده أن يستسلم ، رغم اننى كنت أيضا خائفة ، وأخبرته بأنها ترغب فى أن توقع الذعر فى

قلبه بنوبة من نوباتها • وكانت في حالة طيبة حيث سمعته ، وفهمت قصدي ، لأنها انتفضت من فراشها وعيناها تبرقان واندفعت متوجهة الى غرفتها ، فأشار ادجار بأن اتبعها ، ولكنها أغلقت الباب بالمفتاح ، وبقيت ثلاثة أيام رافضة أن تتناول شيئا من الطعام !

أما السيد ادجار فكان يقضى وقته في المكتبة • وكان له حديث خاص مع الآنسة ايزابيللا حيث حذرهما من هيثكليف • وقال لها انها اذا شجعتة فسينهى ذلك كل الروابط بينهما كأخ وأخت • • !

الفصل الحادى والعشرون

المرض

أخذت ايزابيللا تهيم على وجهها حول المنزل وهى تبكى فى صمت وبدموع غزيرة . . أما أخوها فكان يفلق على نفسه بين الكتب التى لا يفتحها مطلقا ، على الأمل اليائس أن تتأسف كاترين على تصرفها وتطلب العفو . أما كاترين نفسها فاستمرت فى رفضها للطعام ، على أساس أن غيابها عن المائدة قد يجلب إدجار إليها راکما . وأثناء كل هذا . واصلت القيام بواجباتى كالعادة معتقدة أننى الشخص العاقل الوحيد فى هذا المنزل .

وأخيرا فتحت كاترين بابها ، فى اليوم الثالث أو

بالأحرى فى وقت متأخر من الليل . . فبدأت شاحبة
مرهقة ، وطلبت الطعام والشراب حيث كانت نعتقه
أنها ستموت . فاحضرت لها شايًا مع خبز وزبد ،
فتناولته بشغف ، ثم سألتنى :

— ماذا يفعل ذلك المخلوق عديم الشعور ؟

فاجبت :

— ان كنت تقصدى السيد ادجار فهو فى حالة
جيدة ، ويقضى معظم أوقاته بين كتبه !

لو كنت أعرف حالتها الحقيقية لما تكلمت هكذا ،
لكننى لم أستطع التخلص من فكرة أنها تمثل جزءًا من
مرضها . فصرخت قائلة :

— يجلس بين كتبه وأنا فى طريقى الى القبر !
أوه ، هل يعرف كم تغيرت ؟ وحملت فى صورة وجهها
فى المرأة المعلقة على الجدار المقابل ، واستمرت قائلة :
— اذا كنت متأكدة من أن ذلك سيقتله ، لقتلت
نفسى فى الحال !

لم تستطع تحمل الفكرة التي وضعتها في رأسها
عن عدم مبالاة ادجار ، ثم راحت تتأوه من الحرارة التي
تلتهم جسدها ، وهي تتقلب من جنب إلى آخر ، ثم
نهضت ، وطلبت منى أن افتح النافذة .. كان هذا
منتصف الشتاء فاعترضت . وبدأ التعبير المرسوم على
وجهها يزعجني بشكل مفرع ، وذكرني بمرضها
السابق وعن تحذير الطبيب بالألا يقف أحد ضد
رغباتها . وأخذت تمزق الوسادة بأسنانها وبدت عليها
أنثذ بهجة طفولية في سحب الريش من الفتحات التي
أحدثتها والتعرف على الطيور التي كانت تكتسى بهذا
الريش ، فقلت لها :

- تمددى ، واغمضى عينيك ، فالنوم سيريحك !

- آه ، ياليتنى أعود الى طفولتى ! الى فراشى فى
بيتى القديم ! وأسمع صوت الريح وهى تهب من خلال
الأشجار المجاورة للنافذة ! .. دعينى أشعر بها ..
دعينى استمتع بصوت الريح يأتى من خلال النافذة !
وفتحت النافذة لبطع دقائق لارضائها ، فاندفعت

ريح مثلبة من خلالها ، فقامت وأغلقت النافذة ثانية .
وسألتني فجأة :

- ما هي المدة التي أغلقت فيها على نفسي هنا ؟

فاجبت :

- أربع ليال وثلاثة أيام . مدة طويلة لتعيشيهما
على الماء البارد والأعصاب التالفة !

- كانت عددا من الساعات المملة ، أذكر انني
كنت في حجرة الجلوس بعد ما حدثت المشاجرة ..
وركضت الى الطابق العلوى .. وعندما أحكمت اغلاق
الباب بالمفتاح ، خيم فوقى سواد تام . ولم أستطع
أن أشرح لادجار تأكيدى من شعورى بالاصابة بنوبة
مرض اذا استمر فى مضايقتى .

ثم امرتنى قائلة :

- افتحي النافذة على مصراعها ثانية . انك
لا تعطينى فرصة للحياة .. حسن سأفعل ذلك بنفسى !

وغادرت السرير قبل أن أستطيع إيقافها ،
وقطعت الحجرة مترنحة من المرض ، ثم فتحت النافذة
غير عابثة بالهواء الذى كان يقطع الجسم كالسكين ،
فاستعطفتها كى تباعد عن الهواء ، وحاولت أن أعيدها
الى فراشها عنوة ولكن قوة الحمى فيها قاومتنى .

كنت أتدبر لفها بشئ دون أن أدعها تفلت من
يدى ، عندما سمعت حركة مقبض الباب ودخول
ادجار . فصرخت قائلة وأنا أشير اليه أن يخفى تعجبه
الذى ظهر على شفتيه عندما رأى المنظر :

— آه يا سيدى ! أن سيدتى المسكينة مريضة ،
ولم يعد بإمكانى السيطرة على تصرفاتها . من فضلك
تعال واقنعها بالذهاب للفراش !

فقال وهو يسرع نحونا :

— كاترين مريضة ! اغلقى النافذة يا نبلى !

كان صامتا منزعجا للتغير فى مظهر كاترين ،
وههمت بشئ عن عدم معرفتى بحالتها من قبل ، ولكنى

شعرت اننى ابديت شرحى بارتباك . وبدأ على ادجار الضيق واخذ زوجته فى ذراعيه . ولم تبد فى البداية أى علامة على التعرف عليه ، ولكنها ركزت بالتدريج انتباهها عليه . وقالت بصوت غاضب :

— آه ! أتيت أخيرا يا ادجار ؟ انك من الأشياء التى لا توجد مطلقا عند طلبها .. سوف تشعر بالأسف عندما أصبح فى القبر .. حيث سأكون قبل انتهاء الربيع !

— كاترين ! هل أنا من الأشياء بالنسبة لك ؟
هل تحبين هذا البائس هيث ...

— اذا ذكرت هذا الاسم فسانهى حياتى فى الحال يلقف من هذه النافذة ! عد الى كتبك ، فانا لا أريدك الآن !

قلت :

— ان عقلها يشرد يا سيدى ، انها تهذى طوال الليل ، ويجب أن نكون حذرين من ازعاجها فى المستقبل .

فأجاب ادجار :

- لا أريد منك مزيدا من النصائح ، ، ، ، انت
تعرفين طبيعة سيدتك ولقد شجعتينى أن أقف ضدها ،
ولم تعطينى أى فكرة عن حالها طوال هذه الأيام الثلاثة .
انها قسوة !

وبدأت أدافع عن نفسى شاعرة بأنه شيء سيء أن
أعاتب على أخطاء غيرى ، ثم عازمت على طلب مساعدة
طبية على مستثنيسى ، وغادرت الحجرة .

الفصل الثانى والعشرون

الهاريان

عند مرورى بالحديقة رأيت شيئا أبيض معلقا فى
حلقة مثبتة فى الحائط . . كان كلب الأنسة ايزابيللا
الصغير مربوطا بمنديل وكان على وشك الاختناق . .
وبدأت فى تخليص الحيوان عندما خيل لى سماع صوت
خوافر جياذ تركض بسرعة من بعيد ، ولم أعر أى انتباه
لهذه الضوضاء الغريبة فى الساعة الثانية صباحا حيث
كان عقلى مزدحما بأشياء كثيرة .

كان الدكتور كنيث - الرجل الجاد الصريح -
قادما لتوه من منزله لزيارة رجل مريض بالقرية ، وجاء
معى فى الحال . وقال :

- نيللى ، لا بد أنه يوجد سبب لذلك • أن فتاة قوية فى صحة كاترين لا يمكن أن تصبح مريضة هكذا بدون سبب • ما الذى سبب ذلك ؟

فاجبت بعذر :

- سيخبرك السيد ، ولكنك تعرف طبيعة آل ايرنشو العنيفة ، والسيدة كاترين أسوأ من أى فرد من تلك العائلة •

وبعد فحصه للحالة بنفسه تحدث بأمل للسيد لنتون فى شفاثها لو أننا احتفظنا بهدوئها التام والمستمر ، وأخبرنى أن الخطر ليس فى الموت بل فى فقدان السيطرة على العقل •

لم يغمض لى جفن فى تلك الليلة ، وكذلك السيد لنتون • واستيقظ الخدم مبكرين عن المعتاد • وكان الجميع تشيعطين فيما عدا الآنسة ايزابيللا ، وبدأ الجميع يلاحظون تأخرها فى النوم •• وسأل أخوها اذا كانت قد استيقظت وبدأ عليه الاستياء لقلّة اهتمامها بحالة كاترين •

وجأت إحدى الخادعات تصرخ وهي فائرة فاما :

— أوه ! أوه ! ماذا سيصيبنا بعد ذلك ؟ سيدى ،
سيدى ، أن آنستنا الصغيرة ...

فصحت فيها قائلة :

— بهدوء !

وقال مستر لنتون :

— أخفضى صوتك يامارى ، ما الأمر ؟

فصرخت الفتاة قائلة :

— لقد ذهبت ! لقد ذهبت ! وذهب معها

هيشكليف !

كانت الفتاة بالقرية وقابلت الصبي الذى يحضر
لنا الحليب ، وأخبرها أن السيد هيشكليف والأنسة
إيزابيللا قد ثوقفا لتثبيت حدوات الحصان على بعد
ميلين من جيمرتون ، عند منتصف الليل !

فَسأَلْتُهُ :

— هل نحاول أن نعيدها ؟ ماذا علينا أن نفعل ؟

فاجاب السيد :

— لقد ذهبت بمحض ارادتها . لا تزعجيني بها
بعد ذلك . ومن الآن فصاعدا فهي أختي بالاسم فقط !
ولم يذكرها لي بعد ذلك . الا عند توجيهي لأرسل
لها ما يخصها الى منزلها الجديد — أيثما كان — عندما
أعرفه !

الفصل الثالث والعشرون

شهران كثيبان

ظل الهاربان غائبين لمدة شهرين ، عانت فيهما
كاترين الكثير ، واستردت صحتها بالتدريج من أسوأ
نوبة مرض ، تبين أنها كانت حمى فى المخ !
وأخذ ادجار يرعاها ليل نهار ، متحملا بصبر
جميع الصعاب التى يتسبب فيها مرض الجسد
والعقل .. وحذره الطبيب على صحته وقوته هو ، حيث
أصبح يضحي بها من أجل مجرد حطام .. لأن زوجته
لن تعود كما كانت مرة أخرى .. لكنه لم يعرف لفرحه
حدودا عندما تجاوزت كاترين مرحلة الخطر . كانت
الفرحة فرحتين بعد أن تبين انها كانت حاملا .. وكان

أعلمنا أن يغمر الفرح قلب السيد ادجار بميلاد وريثه
الذى سيؤمن أراضيه من أن يستولى عليها غريب ..

كانت أول مرة تغادر فيها حجرتها فى بداية
شهر مارس ، حيث وضع السيد ادجار على وسادتها
باقة من الزهور فى الصباح ، ف وقعت عينها عند
استيقاظها على اللون الوضاء بالبهجة فتألمت بالسرور .
وقالت :

- انها بشائر زهور المرتفعات المبكرة ، انها
تذكرنى بالرياح اللطيفة وشروق الشمس الدافئة
والجليد المذاب . !

فقال لها زوجها :

- لقد ولى الجليد تماما يا عزيزتى .. كاترين ،
فى الربيع الماضى كنت أنطلع شوقا للحصول عليك
تحت هذا السقف . والآن أتمنى لو كنت فوق تلك
التلال على بعد ميل أو ميلين ، فالهسواء فى منتهى
العذوبة ، أشعر أنه سيشفيك تماما !

وأخبرني السيد بأن أشعل المدفأة في حجرة
الجلوس وأضع كرسيًا في الشمس المشرقة . ثم نزل
بها حيث جلست لفترة طويلة مستمتعة بالدفء .
وعندما حل المساء ، لم ترغب في العودة الى الطابق
العلوى ، رغم كونها متعبة جدا ، لذلك جهزنا لها حجرة
أخرى في الطابق السفلي وبدأت عافية بما فيه الكفاية
لتتحرك من حجرة الى أخرى ، مستندة على ذراع اءجار .

وبعد حوالي ستة أسابيع من مغادرة ايزابيلا ،
أرسلت رسالة قصيرة الى أخيها تعلن عن زواجها من
هيثكليف وبدأت الرسالة جافة وباردة ، ولكنها
كانت مذيبة بسطر بالقلم الرصاص تعبر فيه عن أسفها
على عملها ، ورغبتها في الصفح ولكن اءجار لم يرد
على رسالتها . وبعد أسبوعين وصلتني رسالة من
الفتاة التعيسة ، التي احتفظت بها حتى الآن ، وهذا
نصها :

« عزيزتى نيللى لقد ذهبت الليلة الماضية
الى مرتفعات وذرنيىج ، وعلمت للمرة الأولى بمرض

كاترين • اعتقد انى لا يجب أن أكتب لها ، ولا بد أن يكون أخى غاضبا منى لأنه لم يرد على رسالتى •

أخبرى ادجار أن قلبى عاد الى المزرعة بعد أربع وعشرين ساعة من مغادرتى ، ومع ذلك ، لا أستطيع أن أتبع قلبى •

انى اتساءل كيف أمكنك ، عندما كنت تعيشين هنا ، أن تبقى على انسانيتهك •• هل كان هيثكليف مجنوناً •• أم هل هو شيطان ؟ •• أرجوك أن توضحى لى ، اذا أمكنك ، بمن تزوجت !

لقد وصلنا هنا بعد غياب الشمس ، وخرج الخادم يوسف ومعه مصباح ، وهو يلقي على بنظرة قميئة ، ثم أخذ الجياد وانصرف •• وبقي هيثكليف ليتحدث معه ، ودخلت أنا الى المطبخ حيث الأقدار والفوضى •• انك لن تستطيعى التعرف عليه ، لقد تغير تماما منذ أن كان تحت رعايتك •• والى جانب الموقد كان يقف طفل قذر ، خشن المظهر ، يشبه كاترين فى العينين وما حول الفم ، وقد تعرفت عليه بأنه لا بد أن يكون

هيرتون . . وحاولت أن اكسب وده ، لكنه شتمنى
اولا ، ثم أطلق أحد الكلاب على .

خرجت من المطبخ ، ورحت أتجول فى الفناء ،
وقرعت أحد الأبواب ، ففتحه لى رجل طويل رث الثياب
أشعث الشعر ، كان يشبه ، هو أيضا ، عزيزتنا
كاترين . . وتأكدت أنه هندلى شقيقها ، فأدخلنى
وأغلق الباب . . ورأيت أنها نفس الحجرة الفسيحة
التي كانت تشع بهجة وإشراقا عندما زرتها منذ
سنوات . أما الآن فهي مغبرة لا يعتز بها أحد . فسألته
إذا كان يمكننى أن استدعى الخادمة لتدلى على حجرة
النوم . . لكن السيد هندلى لم يجر جوابا ، وبدا
وكانه نسي وجودى ، وبدا غريبا جدا ولم يقم بالترحيب
بى حتى أننى قررت ألا أزعجه ثانية .

عندئذ تذكرت أنه على بعد أربعة أميال يقع البيت
السعيد الذى فيه أحب الناس لى فى الدنيا ، ومع
ذلك وكان بحرا عريضا يفرق بيننا ! وكررت سؤالى
ثانية .

قال هندل :

- ليس لدينا خدم ، عليك أن تخدمى نفسك !
كنت متعبة وبائسة فقلت والدعوى تسجيل من
عينى :

- واين اناام اذن ؟

- سسيقودك يوسف الى غرفة هيثكليف ،
ولتحسنى اغلاق بابك بالمفتاح .

- لكن لماذا يا سيدى هندل ؟

فقال وهو يسحب من جيبه مسدسا صغيرا
غريب الصنع مثبت فيه سكين ذو حدين :
- لأننى لن اتوانى عن قتل هيثكليف ، ان رايت
باب غرفته مفتوحا فى ليلة ما !

فسالته :

- وماذا فعل لك هيثكليف ؟ أليس من الأفضل
أن تطرده من البيت ؟

فصرخ هتلى :

- كلا ! هل أخسر نقودى كلها دون فرصة
استردادها ؟ هل يصبح هيرتون شحاذا ؟ ..
سأستردها وسأحصل على ذهبه أيضا وعلى دمه !
انك تعرفين عادات سيدك القديم ، انه على وشك
الجنون ، وأخشى الاقتراب منه .

كانت حجرة هيثكليف مغلقة ، فذهبت لأنام على
كرسى بحجرة الجلوس ، حتى عاد بأخبار مرض
كاترين ، واتهم أخى بأنه سبب ذلك ، وهددنى بالانتقام
منى بدلا منه الى أن تسمح له الظروف بمعاقبته هو .
انى بائسة .. لقد كنت حمقاء ! .. لا تقولى شيئا مما
ذكرته لك لئلا يأتى أحد بالمزرعة ، أرجو حضورك لرؤيتى
يانيللى فى أقرب فرصة .. سأتوقع قدومك كل يوم ..
فلا تخيبى رجائى ! .. ايزابيللا ، ..

الفصل الرابع والعشرون

سوف أراها !

عندما انتهيت من قراءة رسالة ايزابيلا ، ذهبت الى السيد ادجار وأطلعته على أخبار أخته ورغبتها في عفو ، فأجاب :

— اذهبي لزيارتها بعد الظهر ٠٠ وبلغنيها أسفى لفراقها ، وانه فراق الى الأبد !

لقد أحزننى برود السيد ادجار بشكل كبير ، وأخذت أفكر طوال الطريق الى مرتفعات وذرينج فى تخفيف وقع رسالة ادجار .

كان منظر القصر بائسا وهو الذى كان فى منتهى
البهجة سابقا . . وتواءمت ايزابيللا مع المظهر الذى
يحيط بها من افعال . . فكان وجهها الفاتن شاحبا
عديم التعبير ، وشعرها غير مرتب فبعضه يتدل وبعضه
يلتوى بافعال حول رأسها ، وربما لم تصلح من مظهرها
منذ الليلة السابقة .

لم يكن هندى موجودا ، ولكن هيثكليف كان
يجلس على المائدة . فنهض وحيانى بطريقة ودودة وقدم
لى كرسيها . قد يحكم عليه من لا يعرفه بأنه جنتلمان
بالمولد ، وأن زوجته من اصل أدنى .

جاءت ايزابيللا نحوى بلهفة ، وهى تأمل أن
تستلم رسالة من أخيها ، وكان على أن ابلغها كلمات
أخيها . فارتعشت شفتاها واستدارت الى حيث كانت
تجلس . وراح زوجها يستفسر عن صحة كاترين .
فقلت له :

— انها تسترد صحتها الآن . ولن تعود كما
كانت ، لكن حياتها أنقذت باعجوبة . . ولقد تغير

مظهرها وكذلك شخصيتها تماما . ويرافقها سيدي
الذي سيحافظ على عاطفته نحوها على سبيل العطف
والاحساس بالواجب .

فأمسك هيثكليف بزمام نفسه ليبدو هادئا
وقال :

— هل تتخيلين انى سأترك كاترين لواجب سيدي
وعطفه ! .. نيللى ، يجب ان تعدينى بأن ترتبى لى
موعدا لرؤياها .. قبلت أم أبيت ، سوف أراها .
فما قولك ؟

فاجبت :

— أقول يا سيد هيثكليف ، ان أية زيارة يتولد
عنها شجار بينك وبين السيد ادجار سوف تقضى على
حياتها !

— بمساعدتك يمكن تجنب ذلك .. ان الخوف من
أنها قد تعانى من فقدته يمنعنى من اقتزاف عمل
مشين ، وهكذا ترين الفرق بين مشاعرنا .. اذا كان

هو فى مكانى وأنا فى مكانه لما رفعت يدى ضده ، طالما
ترغب هى فى مرافقتى ، ولحظة ما ينتهى شعورها
سامزق قلبه اربا ، ولكن حتى ذلك الحين ، ساموت على
فترات قبل أن المس شعرة واحدة من رأسه !

فقطاعته قائلة :

- ومع ذلك ، فانت لا تعباً بتحطيم فرحتها
لاسترداد صحتها بازعاجها الآن ، بينما هى كادت أن
تنسأك .

- أوه يا نبلى ! .. تعلمين أنها لم تنسنى ! ..
وتعلمين كما أعلم أنها فى كل مرة تفكر فى ادجار تفكر
فى أنا ألف مرة ! .. لقد هيمن على مثل هذا الاحتمال
عند عودتى فى الصيف الماضى ، ولكن كلماتها تجعلنى
أعترف بالفكرة المفزعة ثانية .. وعندئذ .. سوف
لا يكون ادجار شيئاً ، ولا هندى ، ولا أحلام الانتقام
الأخرى التى طالما حلمت بها .. كلمتان فقط تمثلان
مستقبل .. الموت والجحيم ! .. لكن كاترين لها قلب
عميق مثل قلبى ، ومنزلة ادجار عندها لا تزيد عن

منزلة قلبها أو جوادها .. ليس فيه ما تحبه .. وكيف
لها إذن أن تحب فيه ما ليس فيه ؟

وبعودة مفاجئة للحياة صرخت ايزابيلا قائلة :

— كاترين وادجار مفرمان ببعضهما كأي
زوجين ! ولا أحب أن أسمع سيرة أخى بهذا الاستخفاف !

فقال هيثكليف باحتقار :

— انه لا يستحق الا هذا الاستخفاف !

فقلت :

— ان سيدتى الصغيرة تبدو حزينة لتغير
ظروفها ، وقد تعودت على الحنان وعلى من يقوم
بخدمتها ، فيجب أن تأتي لها بخادمة .. ومهما كان
تفكيرك فى ادجار فلا يمكنك أن تشكك فى عاطفتها
نحوك ، والا ما تركت أبدا كل أسباب الرفاهية
والسعادة فى بيتها لتعيش معك فى هذا المكان الموحش !

فأجاب :

— ان الوهم ، هو الذى جعلها تتخلى عن كل شيء ،
اذ انها حسبتنى ذلك الرجل المدهش الذى قرأت عنه
فى الروايات . . . انى لا اعتبرها عاقلة ازاء فكرتها عن
شخصيتى التى كونتها لنفسها ، ولكنى اعتقد انها بدأت
تعرفنى أخيرا . . . وانا لم اكذب عليها مطلقا ، وأول
شئ رأتنى أفعله عند الخروج من المزرعة ، هو شنىق
كلبها الصغير ، ومع ذلك لم تبد أى استنزاز . . . أرجوك
يا نبلى أن تقولى لسيدك انى لم أر فى حياتى شخصا
بمثل كآبة ايزابيللا ، انها تجلب العار حتى على عائلة
لنتون !

فصرخت ايزابيللا :

— انه يصرح بأنه تزوجنى عن عمد ليزداد قوة
على ادجار ، لكنه لن ينال ذلك ! وأمل أن ينسى حذره
الشیطانى ويقتلنى ! فالمتعة الوحيدة التى أستطيع أن
أتخيلها هى أن أموت أو أراه ميتا !

فقال هيثكليف ببرود :

— أرجوك يا نيللى أن تتذكرى لغتها إذا استدعوك
للمشاهدة فى ساحة القضاء ! .. وانظرى جيدا الى
وجهها ، انها على وشك الانهيار . انك لست مسئولة
عن تصرفاتك يا ايزابيللا الآن ، وأنا كزوجك المطيع
للقانون يجب أن أحفظك آمنة متماسكة .. اصعدى
الى غرفتك ، فلدى ما أقوله لنيللى على انفراد .

ودفع بها خارج الحجرة وتمتم قائلا :

— ليس لدى شفقة ، ليس لدى شفقة ! فكلما
عانت الديدان ، رغبت فى سحقها !

ونفضت لأذهب ، فقال لى :

— قفى ! .. تعالى هنا يا نيللى .. يجب أن أحنك
أو أجبرك على مساعدتى لرؤية كاترين . لا أرغب فى
أن أسبب أى ازعاج . سأنبهك عند قدومى ، وعليك
أن تدخلينى دون أن يلاحظنى أحد لأنفرد بها .

فاعترضت وجادلت ورفضت طلبه مرات عديدة
ولكن هيثكليف أجبرني أخيرا على الموافقة بأن أحمل
رسالة منه الى سيدتي ، فاذا رغبت مقابلته ، عليها أن
تحدد موعدا يكون فيها زوجها خارج البيت .

الفصل الخامس والعشرون

اللقاء

وعنده المساء ، لمحت هيثكليف يحوم حول
المزرعة ، وتجنببت الخروج ، لأننى ما زلت أحمل رسالته
فى جيبي . فلم اشأ أن أعطيها لها ، لأنى لم أستطع
أن أضمن مدى تأثيرها على سيدتى . ولذلك لم تصلها
الا بعد مرور ثلاثة أيام .

وفى اليوم الرابع ، وكان يوم أحد واحضرتها الى
حجرتها بعد ذهاب أهل المنزل الى الكنيسة .

وجلست كاترين فى فستانها الأبيض الفضفاض
عند النافذة المفتوحة كالمعتاد . وكان شعرها الطويل

الكثيف ما زال بعضه منسدلا ببساطة فوق جبينها ورقبتها . . لقد تغير مظهرها ، ولكن عندما تكون هادئة ، كان يبدو في التغيير جمالا غريبا . . فالوميض في عينيها حل محل الرقة الناعمة . . وشحوب وجهها، والتعبير الغريب المنبعث عن حالتها الذهنية أضاف الى التأثير الذي تشع به . . ولكن هذه العلامات بالنسبة لي لم تكن الا علامات أكيدة بأن حتفها هو الموت العاجل .

وكانت أجراس كنيسة جيمرتون لا زالت تدق . . والتدفق المتخمد لجداول الماء الصغير بالوادي يأتي بحلاوة الى الأذان . . وكان يبدو على كاترين انها كانت تنصت الى خرير المياه . . لكن عينيها كانتا مستغرقتين في نظرات بعيدة حاملة . . !

وقلت لها بلطف :

- اننى أحمل لك رسالة يجب أن تقرأها وتردى عليها بسرعة . هل أفضها لك ؟!

فاجابت دون أن تغير من اتجاه نظرتها :

- أجل .

وفعلت ذلك ، أعطيتها لها لتقرأها ، فسحبت
يدها بعيدا ودعتها تسقط . فأعدها الى ركبته ووقفت
منتظرة . **وأخيرا قلت لها :**

— هل أقرأها لك ؟ أنها من السيد هيشكيلف !

وهنا ظهر عليها الاضطراب وكأنها تحاول أن
تتذكر وتصارع لترتيب أفكارها . ورفعت الرسالة
وبدت وكأنها تقرأها ، وعندما جاءت الى الاسم في
الختام تنهدت ومع ذلك فهمت أنها لم تدرك فحواها ،
وأشارت الى الاسم وثبتت عيناها على بشغف فضولي
حزين . **فقلت لها :**

— انه يرغب في أن يراك . من المحتمل أن يكون
في الحديقة الآن ، فاقد الصبر ليعرف ردك .

ولاحظت ، أثناء حديثي ، أن الكلب الكبير الراقد
على النجيل في الشمس يحرك أذنيه ثم يسحبهما
للخلف برقة معبرا بحركة من ذيله عن أن شخصا
لا يعتبره غريبا يقترب منه ، وانحنى كاترين الى الامام
وانصتت حابسة أنفاسها ..

وفى الدقيقة التالية سمعنا وقع خطوات فى
الصالة ، وبشفغ لا يوصف وجهت كاترين عينيها نحو
مدخل حجرتها ، وقبل أن أستطيع الوصول الى الباب ،
كان هيثكليف قد عثر عليه ، وفى لحظة كان بجوارها ،
وأخذها بين ذراعيه !

ولم يتكلم ولم يتركها من بين ذراعيه لعدة
دقائق . ورأيت أنه يحتمل بالكاد حالة شديدة من اليأس
عندما نظر الى وجهها ، وشعر من اللحظة التى رآها
فيها بأنه لا أمل فى شفائها . . . لقد تقرر قدرها ، كانت
متأكدة أنها تموت . . . وكانت أول جملة يتفوه بها :
- آه يا كاتى . . آه يا حياتى ! كيف أتحمّل
ذلك ؟

ونظر اليها بشغف حتى فكرت أن دموعه
ستسقط من عينيه ، لكنهما احترقتا بالألم ، ولم
تذوبا .

فقالت كاترين وهى تستلقى معيدة نظره بأخرى
حائقة مبالغته :

— ما العمل ؟ انت وادجار قد حطمتما قلبي
يا هيثكليف ! والآن ياتي كلاكما مشفقا على وكانكما
من يحتاج المواساة ! لن أشفق عليكما .. لست أنا .
لقد قتلتماني .. كم من السنين ستعيشها بعد ذهابي ؟
وكان هيثكليف قد ركع على احدى ركبتيه ،
وحاول ان ينهض ، لكنها أمسكت بشعره وابقتة
راكما . واستمرت قائلة في مرارة :

— أود ان أقدر على التعلق بك ، حتى نموت
كلانا آ كان لا يجب ان أعبا بمعاناتك لماذا يجب الا
تعاني ؟ انني أعاني ! هل ستنساني ؟ هل ستكون
سعيدا بعد ان أصبح تحت التراب ؟

فصرخ مبحرا راسه من قبضتها :

— لا تعني في تعذيبى حتى أجن مثلك ! هل
يتلبسك الشيطان لتتكلمى هكذا وانت تموتين ؟ ..
هل تدركين ان كل هذه الكلمات ستحترق داخل
ذاكرتى ؟ أنت تعرفين انى لم أتسبب فى موتك ..
وتعرفين يا كاترين اننى استطيع أن أنساك فورا ، لو

نسيت وجودي ! اليس كافيا لانانيتك الملعونة أنه
بينما تكونين أنت في سلام ساكون أنا يالوعتي في
عذاب مقيم !؟

وتعمت كاترين عاتلة للاحساس بالضعف من
قبل ضربات عنيفة غير منتظمة من قلبها :

— سوف لا آكون في سلام !

ولم تزد القول حتى مرت الأزمة ، ثم استمرت
قائلة بشكل أكثر عطفًا :

— انسى لا أود لك عذابا أكثر مما بي ،
يا هيثكليف .. انى أود فقط ألا نفترق أبدا .. وإذا
تسببت ذكرى أية كلمة من كلماتي في إيلايك في
المستقبل فاعرف انى سأشعر بنفس الألم وأنا تحت
التراب .. ولأجل خاطري اغفر لى ! .. وتعال بالقرب
منى واركن بجانبى ثانية ! انك لم تسيء الى فى حياتك
مطلقا !

الفصل السادس والعشرون

لقد حطمت قلبك وقلبي !

ذهب هيثكليف الى مؤخرة كرسيتها ، وانحنى عليها ولكنه لم يدعها ترى وجهه الذى كان فى شحوب الموتى ، والتفتت لتتنظر اليه ، ولكنه لم يسمح بذلك ، واستدار بسرعة ومشى الى المدفأة حيث وقف صامتا وظهره نحونا ، فنظرت كاترين نحوه فى ريبة ثم وجهت كلامها لى بصوت جريح :

- ترين يا نيللى ، انه لن يستسلم للحظة واحدة . وهكذا أتلقي الحب • حسن ، لا بأس • انه ليس بهيثكليف الذى يخصنى •• اننى أحب من يخصنى ولن أكف عن حبه • ترى ألن يكون بالقرب منى ؟!

واستمرت تقول لنفسها :

- ظننت انه يود ذلك • هيثكليف • يا غالى • •
تعالى الى !!

وفى شغفها نهضت وتساندت على ذراع الكرسي ،
والتفت اليها تلبية لهذا الطلب الجاد الذى كان باديا
عليها فى ياس مطلق • وبقيت للحظة بعيدين عن بعضهما
ثم لم أرهما كيف التقيا • • اذ بدت كاترين وكأنها
تقفز وأمسك هو بها فى عناق وكأنه لن يدعها تفلت
منه أبدا • واعتقدت أن سيدتى قد أصيبت باغواء ،
ولكن عندما اقتربت لأتحقق التفت الى وضعتها اليه
أكثر وأكثر • • لذلك انتحيت جانبا ، لا أدرى ما
أفعل •

وخفت عنى بعض الشئ حركة من كاترين حين
أحاطت عنقه بيدها ووضعت خدها على خده • • وقال
هيثكليف :

- تعلمين كيف كنت قاسية • • قاسية ومضللة !
لماذا هزئت بى ؟ لماذا كنت لاتسمعين لقلبك يا كاتى ؟

.. لم أحصل منك على كلمة سلوى واحدة .. انك
 تستحقين هذا ! .. لقد قتلت نفسك .. أجل ، يمكنك
 أن تقبلينى وتبكيين وتجبرينى على أن أفعل نفس
 الشيء .. انه عقابك .. لقد أحببتنى .. اذن قبلى
 حق تتركيننى ؟! .. لأن البؤس والموت لم يستطيعا
 أن يفرقا بيننا ، وأنت بمحض ارادتك فرقت بيننا ! ..
 أنا لم أحطم قلبك .. لقد حطمته أنت وحطمت قلبى
 معه ! .. أن الجزء السئ منى هو الذى يبدو قويا
 أمامك .. هل أرغب فى العيش ؟! هل ترغبين فى
 العيش وروحك فى القبر ؟

فقالت كاترين باكية :

- دعنى وحدى ، ان كنت قد أخطأت ، فهانذا
 أموت جزاء فعلى .. لقد تركتني أنت أيضا ، ولكنى
 أسامحك ، فسامحنى !

- أنه صعب ، ولكنى أسامحك برغم ما فعلته
 بى ، فأنا أحب قاتلتى ، ولكن قاتلك ! كيف يمكننى
 أن أسامحه ؟

مرت لحظات والصمت مخيم عليهما ، وقد اختفى وجه كل منهما في وجه الآخر ، وامتزجت دموعهما سويا ، وبدأت أشعر بالقلق فالوقت يمضي بسرعة .. واستطعت أن أرى جماهير المصلين وهي تخرج من الكنيسة ، فقلت :

— لقد انتهت الصلاة ، وسيحضر سيدي من الكنيسة بعد نصف ساعة !

فزجر هيثكليف بلعنة ، وضسم كاترين اليه أكثر ، ولم تحرك هي ساكنا ..

وفي الحال شاهدت مجموعة من الخدم قادمين في الطريق ، ثم فتح ادجار البوابة ومشى مستمتعا بشمس ما بعد الظهر . فصرخت قائلة :

— ها قد وصل السيد لنتون !

فقال هيثكليف :

— يجب أن أذهب يا كاتي ، ولكنني سأراك ثانية قبل ان تنامي . اننى سأبقى قريبا من نافذتك .

فاجابت ممسكة به على قدر ما سمحت به قوتها :

— لا يجب أن تذهب !

فرجاها قائلا :

— ساعة واحدة فقط !

فاجابت :

— ولا دقيقة واحدة •

— لا بد أن أرحل ، فادجار سيأتى فى الحال !

وحاول النهوض ولكنها تعلقت به بعناد جنونى

وهى تقول :

— لا ! لا ترحل • انها المرة الأخيرة !

فتمتم هيشكليف بلعنة على ادجار وغاص فى

جلسته ثانية •

— سأبقى يا حبيبتى ، فاهدئى ! واذا قتلنى ،

فسأموت والرضا مرسوم على شفتى •

وسمعت سيدى صاعدا السلم • فصرخت :

— انها لا تدري ما تقول ! هل ستحطمها لانها
لا تعي مصلحتها ؟ انهض ! كفانا ما نحن فيه •

واسرع السيد ادجار فى خطواته عند سماع
كلامنا • ورأيت ذراعى كاترين قد سقطتا ورأسها
تدلى • فقلت لنفسى :

— هل غابت عن الوعى ، أم ماتت ؟!

وهجم ادجار على ضيفه غير المدعو شاخبا من
الدهشة والغضب ، ولكن الآخر استوقفه فى الحال
واضعا جسدها الهامد بين ذراعيه قائلا :

— ان لم تكن شيطانا فساعدها أولا • ومن ثم
تحدث معى •

ومشى الى حجرة الجلوس ، ونادانى ادجار
واستعادت كاترين وعيها بعد أن بذلنا أقصى جهدنا ،
رغم أنها لم تتعرف على أى واحد منا ، ونسى ادجار فى
غمرة قلقه صديقها الذى يكرهه • فطلبت من هيثكليف

فى أول فرصة أن يغادر المنزل قائلة أنها فى حالة أفضل
وأنى سأوافيه بأخبارها فى الصباح التالى ، فقال :
- سأنتظر فى الحديقة يا نيللى ، وإن لم تف
بكلمتك فسأقوم بزيارة أخرى سواء كان ادجار موجودا
أم لا . . .

الفصل السابع والعشرون

فلا تنعمى بالراحة !

فى الساعة الثانية عشرة مساءً ولدت كاترين الثانية ٠٠ طفلة هزيلة استمر حملها سبعة شهور فقط ٠٠ وبعد ساعتين من ولادتها توفيت الأم قبل أن تستعيد وعيها لتتفقد هيثكليف أو لتتعرف على ادجار ٠ كان من المؤلم رؤية حزن زوجها الذى زاده احساسه بأن زوجته قد رحلت دون أن تنجب له وريثاً ذكرًا ٠ وعند طلوع الشمس خرجت لأبحث عن هيثكليف وأنا خائفة فى نفس الوقت ٠ كان متكئا على جذع شجرة ، خالعا قبعته وكان شعره مبللا بندى الصباح ٠

لقال :

– لقد ماتت ، اننى لم أنتظرِكَ حتى أعلم ذلك •
ابعدى منديكَ ، انها ليست بحاجة لدموعك •
كيف •• ؟!

وقاوم حزنه رافضا مواساتى بحملقة رهيبة
واكمل سؤاله :

– كيف ماتت ؟

فقلت فى نفسى :

– يا تعيس يا مسكين •• ان لديك قلبا
واحاسيس كالآخرين !

ثم اجبته بصوت مسموع :

– ماتت بهدوء كالحمل الوديع !

– و ••• هل ذكرتنى ؟

– انها لم تستعد وعيها ولم تتعرف على احد منذ
ان غادرتها أنت •• كانت ترقد والابتسامة الحلوة

مرتسمة على شفعتها ، وكانت أفكارها الأخيرة تهيم
عائدة بها لأيام طفولتها الجميلة .

فصرخ فى عنف مخيف :

— فلترقب العذاب ! لماذا هى كاذبة حتى النهاية !
سادعو دعاء واحدا .. رآكرره حتى يتيبس لسانى !
يا كاترين ايرنشو لا تنعمى بالراحة طالما أنا حى ؟ لقد
قلت اننى قتلتك فلتتلبسنى روحك اذن ! كونى معى
ولازمينى دائما اتخذى أى شكل — ادفعى بى الى الجنون
.. فقط لا تتركينى الى حيث لا أستطيع أن أجذك !
يا الهى ، انى لا أستطيع أن أحيأ بدون حياتى !

وضرب رأسه بجذع الشجرة لا كانسان بل
كحيوان ضار . ولحظة ما استعاد وعيه ولاحظنى ..
وأمرنى بأن أتركه ، فأطعته .

تم تحديد موعد جنازة كاترين يوم الجمعة التالى
لوفاتها ، وظل تابوتها مفتوحا فى الصالة الكبرى

بالطابق السفلى • وقضى ادجار أيامه ولياليه هناك ،
حارسا لا ينام ، بينما هيثكليف ، كما أعلم ، يرقب
بلا نوم أيضا فى الخارج •

وفى مساء يوم الثلاثاء ، عندما ذهب ادجار
ليرتاح ساعة أو ساعتين من اثر ارهاق المراقبة ، قمت
بفتح احدى النوافذ لأترك المجال لهيثكليف ليلقى نظرة
الوداع الأخيرة !

وهذا ما فعله فى سكون ، عرفت ذلك ، عندما
لاحظت ، فيما بعد ، خصلة شعر أشقر على الأرض
منزوعة من العلبة الذهبية الصغيرة التى على شكل
قلب المعلقة بسلسلة حول رقبة كاترين • كانت من
شعر زوجها ، وقام هيثكليف بالقاءها خارج العلبة
واضعا محلها خصلة من شعره الأسود ، فلويت
الحصلتين ووضعتهما سويا داخل العلبة •

ودعونا السيد هندلى للاشتراك فى جنازة
شقيقته ، لكنه لم يحضر ، أما ايزابيللا فلم ندعها •

وتم دفن كاترين ، والذي أدهش سكان القرية،
أنها لم تدفن داخل الكنيسة مع عائلة لنتسون ولا
خارجها مع أقاربها . بل حفروا قبرها على رابية
خضراء منحدره عند منعطف فناء الكنيسة حيث كان
الجدار منخفضا لدرجة أن النباتات البرية تسلقت
عليه من كل ناحية . .

الفصل الثامن والعشرون

هندي يخطط للانتقام

كان يوم الجمعة هذا آخر يوم للطقس الجميل الذي استمر شهرا ، وفي المساء تغير الطقس ، وجاءت الرياح بالمطر أولا ثم بالجليد وبدا وكان الشتاء قد عاد .. بقي سيدي في غرفته طوال اليوم التالي . وكنت في حجرة الجلوس المنعزلة والطفلة الصغيرة تبكي على ركبتي ، عندما فتح الباب فجأة ، ودخل أحدهم ، وكانت ايزابيللا هيثكليف ، لاهئة ضاحكة .. وتقدمت نحو المدفأة وقالت :

— لقد ركضت الطريق كله من مرتفعات وذرينج

الى هنا • لا تنزعجى ! • سأشرح لك فيما بعد ،
أرجوك فقط أن تطلبى عربة توصلى الى جيمرتون
وبلغى احدى الخدم أن تحضر لى بمضى ملابسى •

انسدل شعرها على كتفيها مبتلا بالجليد ومياه
المطر • كانت ترتدى فستانها الحريري الذى اعتادت
أن ترتديه وهى بنت ، والذى يتناسب مع سنها لا
وضمعا كسيدة متزوجة • وكان الماء يتساقط منه ،
ولمحت جرحا عميقا أسفل اذنها وكدمات فى وجهها •

وعندما قمت بتضميد جرحها وساعدتها فى
استبدال ملابسها وأجلستها بجوار المدفأة مع فنجان
الشاي الذى أعدته لها ، بدأت تتكلم ، ولكنها رجتنى
أولا أن أبعد ابنة كاترين ، وقالت :

— لا أحب أن أراها ! لا تظنى اننى اكره كاترين ،
لأنى اتصرف كالحمقاء منذ دخولى • • لقد بكيت عليها
بمرارة ، لكنى لم أرغب فى مواساة هيثكليف • •

ثم خلعت خاتم الزواج من اصبعها ، والقت به
فى النار بطريقة طفولية وهى تقول :

— ان هذا هو آخر ما يربطنى به .. ان الضرورة
اجبرتنى على العودة الى هنا ، فلا ملجأ لى غيره ، لكننى
لن أمكث طويلا اذ أن هيثكليف لاشك سيأتى للبحث
عنى ، ليضايق ادجار .. بالاضافة الى أن ادجار لم
يكن عطوفا ، اليس كذلك؟ اننى لم آت لاطلب المساعدة
ولن أجلب له مزيدا من المشاكل .. أن هيثكليف يكره
رؤيتى ، وانى على يقين أنه لن يلاحقنى عبر انجلترا
اذا تمكنت من الهروب ، لذلك يجب أن أذهب من
هنا حالا !

فسألتها ما الذى دفع بها أن تأتى هاربة من
مرتفعات وذرينج بهذا الشكل .

فاجابت :

كنت مضطرة لذلك ، لاننى نجحت فى اثاره
غضبه فوق طاقة حذره ، فمنذ الأحد الماضى لم يتناول
أية وجبة طعام معنا . وكان يخرج كل ليلة ويعود
للبيت فى الصباح الباكر ، ويحبس نفسه فى غرفته ،
ورغم أن الأسى على كاترين يعترضنى ، الا أننى استمتعت

بالاسبوع كله كعطلة ، فاستطعت أن اتحرك بحرية فى
المنزل ، وأجلس فى هدوء وطمأنينة بجانب المدفأة .
وليلة البارحة بقيت اقرأ الى ساعة متأخرة ،
وهندلى الذى لم يكن مخمورا كماداته يجلس قبالتى
ورأسه بين يديه . وهو أهذا حاليا عما قبل ، اذا لم
يضايقه أحد ، وعكر هذا السكون صوت هيثكليف عند
باب المطبخ ، اعتقد أنه عاد مبكرا بسبب سوء حالة
الطقس ، وكان الباب مقفلا ، فاستدار هندلى نحوى
وقال :

— سابقيه فى الخارج لمدة خمس دقائق ، فلدينا
أنت وأنا حساب تسويه مع هذا الرجل . هل أنت
هشة مثل شقيقك ؟ هل ستقاسين حتى النهاية دون ان
تنتقمى ؟!

فاجبته :

— لقد تعبت ، وسأكون سعيدة بالانتقام منه ،
لكن العنف والفدر يصيب من يستخدمهما .

- سأطلب منك ألا تفعل شيئا ، مجرد أن تجلسي هادئة صامتة • أعديني أن تحبسي لسانك فى فمك ، وقبل أن تدق هذه الساعة - انها الواحدة الا ثلاث دقائق - مستصبحين حرة !

وسحب من داخل سترته المسدس المثبت فيه السكين ذو الحدين ، الذى رأته من قبل ، وحاول اطفاء الشمعة ، فمنعته وامسكت بلقائه وقلت :

- سأصرخ ، لا تحاول أن تؤذيه يا هندلى ، والزم الهدوء !

- لقد عقدت العزم ، وحان الوقت لأضع حدا لتصرفاته !

لم يكن من المجدى أن أقاومه ، كل ما استطعت عمله هو أننى هرعت لافتح النافذة ، وصرخت وأنا أشعر بشئ من الابتهاج :

- من الأفضل أن تجد لك مكانا آخر تاوى اليه ، فالسيد هندلى ينوى قتلك !

ولكن هيثكليف امرنى أن أفتح الباب وشتمنى
متوعدا ، فأغلقت النافذة وعدت مكانى بجانب المدفأة .
فشتمنى هندلى أيضا قائلا اننى لازلت أحب الشيطان !

وضرب هيثكليف النافذة ، فكسرها وأدخل
وجهه الأسمر الغاضب من بين القضبان الحديدية ،
ولكنه لم يتمكن من الدخول ، فابتسمت وأنا اعتقد
انى فى مأمن . وعاد فأمرنى قائلا :

— ايزابيللا ، افتحي الباب !

— لا يمكننى أن ارتكب جريمة قتل . ان هندلى
ينتظرك بمسدس وسكين فى يده ، وجبك المسكين
لا يتحمل رذاذ الجليد ، هيثكليف . لو كنت مكانك ،
لذهبت وتمددت فوق قبرها لأموت ككلب وفى !

ووقفت بلا حراك من الرعب نتيجة لكلماتى
المهينة ، عندما انقض هيثكليف وخطف السلاح من
هندلى ، فانطلق المسدس وارتد السكين فأصاب معصم
حامله وانتزعه هيثكليف بعنف . !!

الفصل التاسع والعشرون

ايزابيللا تهرب

وقع هندلى على الأرض فاقد الوعي والدم يسيل من جرح بالغ بذراعه • وركله هيثكليف برجله وأمسك بى باحدى يديه يمنعنى من احضار يوسف • وفى النهاية سحب جسده الخائر الذى لا حراك فيه ، وأرقده على احدى المقاعد وراح يضمه له جرحه بخشونة قاسية ، وعندئذ انتهزت الفرصة وذهبت أبحث عن الخادم العجوز • وصاح هيثكليف فى يوسف الذى جاء مسرعا :

— أن سيدك مجنون ، واذا ظل حيا شهرا

آخر فساوصى بوضعه فى مستشفى المجانيين • نظف
هذا ..

وضرب يوسف على ركبتيه اللتين كانتا فى
وسط الدم ، واستدار الى وقال :

- وانت أيضا ستقومين بالمساعدة • أتفقين الى
جانبه ضدى .. أهكذا ؟

وهزنى بعنف • وأخيرا ، عاد هندلى ٤ ،
وأخذ هيثكليف يلقي عليه اللوم لتعاطيه .
ونصحه أن يذهب الى فراشه ليستريح •

وفى الصباح ، عندما نزلت الى الطابق السفلى
وجدت هندلى جالسا بجانب المدفأة وعلامات المرض
بادية عليه ، وعدوه يبدو عليه نفس الشيء تقريبا
متكئا على المدخنة • لم ينظر هيثكليف نحوى ،
كانت عيناه متعبتين من قلة النوم ومن البكاء وكانت
شفته مضمومتين على تعبير حزن لا يمكن أن يوصف
• لو كان شخصا غيره لغطيت وجهى عند مشاهدته

هذا الحزن ، أما فى حالته هو ، فلقد شعرت بالغبطة ،
اذ لا أريد أن أفقد هذه الفرصة وهو يقاسى ألما .

أراد هندى بعض الماء ، فناولته كوبا وسألته
عن حاله ، فأجاب :

- لست مريضا كما أرغب ، لكن بالاضافة
الى ذراعى ، فكل جزء من جسمى يؤلمنى .

- لقد ركلك عدوك ليلة أمس وألقى بك على
الأرض ، ألم يكفه قتله لشقيقتك ؟!

ثم واصلت حديثى قائلة بصوت أعلى :

- ففى المزرعة ، الجميع يدركون بأنه لولا
السيد هيثكليف لكنت كاترين مازالت على قيد
الحياة !

أثارت كلماتى انتباه هيثكليف وراح يبكى
وأخذت أضحك ، ثم قال لى :
- اغربى عن وجهى !

فواصلت حديثي قائلة :

- لو أن كاترين المسكينة وضعت ثقتها بك وقبلت أن تنزل درجة وتنزولك ، لوصلت حالتها كحالة أخيها ، وما كانت تحملت تصرفك المخزى بهدوء !

وهنا قام هيثكليف بحركة فجائية ، والتقط سكين طعام من على المائدة ، والقى بها على رأسى ، فأصابتنى أسفل أذنى .. وأوقفت الكلمات التى كنت على وشك أن اتفوه بها . فقفزت نحو الباب . وكان آخر منظر له فى مخيلتى هو اندفاعه القاضب ليلحق بى ، وهندلى يمنعه ، ثم وقوعهما سويا على الأرض .. وركضت عبر المطبخ متعثرة فى هيرتون ثم هربت هابطة الطريق المنحدر ومنه عبر المستنقعات متخطية الضفاف شاقة طريقى بصعوبة بالغة بين برك الماء قاصدة المزرعة .. الملجأ المبارك ! .. وباليمنى أعيش عمرى كله هنا فى عذاب ، عن أن أبيت تحت سقف مرتفعات وذرينج ليلة واحدة مرة أخرى .

وأنهت ايزابيلا قصتها وتناولت فنجانا من الشاي ، ثم نهضت دون أن تعر اقناعي ببقائها ساعة أخرى أى انتباه ، وصعدت على كرسى وقبلت صورة لادجار وصورة لكاترين كانتا معلقتين على الحائط ، ثم فعلت معى نفسى الشيء ، ثم نزلت الى العربية .

وغادرت ايزابيلا المزرعة الى غير عودة ، ولكن عندما استقرت الأمور ، أخذت تتبادل الرسائل مع أخيها ، واعتقد أنها سكنت فى الجنوب قرب لندن . وبعد بضع شهور وضعت هناك طفلا أطلقت عليه اسم لنتون ، وكان طفلا ضعيفا متدمرا منذ ولادته .

وقابلنى هينكليف ذات يوم بالقرية وسألنى عن مكان اقامتها ، ورفضت أن أخبره ، ولكنه توصل ، عن طريق بعض الخدم ، الى مكان اقامتها ، والى العلم بولادة الطفل . وتركها فى حالها ، رغم استفساره دائما عن حال الطفل .. وكان يقول :

— سأحصل عليه وقتما أريد !

ولحسن الحظ ، توفيت الأم قبل أن يأتى هذا الوقت ..

الفصل الثلاثون

هيثكليف سيدا حقا

أما سيدي ادجار فلقد تسبب الحزن ،
وكراهيته في الذهاب الى أى مكان قد يقابل فيه
هيثكليف ، الى أن يعيش حياة منعزلة • وتفادى
الذهاب الى القرية حتى فى المناسبات ، وبقي لايفارق
حدود أرضه الا ليتمشى بنفسه قرب المستنقعات
وليزور قبر زوجته • ومع ذلك ، فالزمن تكفل بتضميد
الجراح بمساعدة ابنته الصغيرة ، التى غدت مليكة
قلبه ، والتى كان اسمها كاترين ولكنه لم ينادها
مطلقا الا بكاتى ، ليميز بينها وبين أمها •
أما هندل ، فنهايته كانت كما توقعنا ، فلقد

توفى بعد ستة أشهر من وفاة شقيقته ، ولم أصدق
أنه كان آنذاك فى السابعة والعشرين من عمره فقط !

، وطلبت من السيد ادجار أن يسمح لى بالذهاب
الى مرتفعات وذرينج لاساعد فى الواجبات الأخيرة
تجاه المتوفى ، فلم يوافق ، فحدثته عن حالة هندلى
الذى بلا صديق وقلت أن لسيدى القديم على حق مثله
تماما ، بالإضافة الى أنى ذكرته بأن الطفل هيرتون
هو ابن أخ زوجته وعليه أن يقوم بدور الوصى عليه ،
وأن يستوضح عما بقى من ممتلكات شقيق زوجته .
فطلب منى أن أتحدث مع السيد جرين المحامى ،
وسمح لى أخيرا بالذهاب .

كان السيد جرين محاميا لهندلى أيضا ، وذهبت
للقرية لزيارته وطلبت منه أن يأتى معى ، فهز رأسه
ونصحنى أن نترك لهيشكيلف الأمر . . وقال اذا
عرفت الحقيقة لوجدت أن حالة هيرتون تفوق حالة
شحاذ . **وقال :**

— لقد توفى أبوه مديونا وجميع ممتلكاته

مرهونة ، والفرصة الوحيدة للوريث الطبيعي هي في
تهيئة الجو له في استرحام قلب مالك الرهن حتى
يشعر بالرغبة في التعامل معه بشكل كريم .

وعندما وصلت المرتفعات أبدى يوسف فرحه
لرؤيتي ، وقال هيثكليف أنه لا يعتبر حضوري
ضروريا . ولكن طالما انني حضرت فعلى أن أبقى وأرتب
للجنازة اذا رغبت . **وقال :**

— لقد أغلق ، الأحق ، أبواب القصر بالأمس
ليمنعني من الدخول ، وأمضى ليلته وهو يعب الخمر
حتى الموت . وفي الصباح تمكننا يوسف وأنا من
الدخول ووجدناه قد فارق الحياة ولا أمل في انقاذه .

وأصررت على أن تكون الجنازة محترمة .
وتركني هيثكليف أفعل ما أريد لكنه ذكرني محذرا
بأن المال الذي سيصرف على كل شيء هو من جيبه
الخاص . وكان سلوكه جامدا لامبال طوال الوقت ،
ولا يبدو عليه الفرح ولا الأسى ، ولكنني لاحظت
ما يشبه البهجة بادية على وجهه .

وعندما كان على وشك أن يسير وراء التابوت
عند خروجه من المنزل ، رفع بهيرتون سىء الحظ
ووضعه على المائدة وتمتم فى متعة غريبة :

- والآن أنت ولدى ، يا طفلى الجميل ! وسنرى،
هل ستتمو هذه الشجرة ملتوية كالأخرى اذا كانت
تحت رحمة نفس الرياح !

وفرح الطفل البرىء ولامس خده بولع ، ولكنى
أدركت معنى كلماته ، فقلت :

- سأصطحب الطفل معى الى مزرعة تراش
كروس .

- هل طلب منك لتتو ذلك ؟

- بالطبع .. لقد أمرنى باصطحابه .

- حسن ، أخبرى سييدك بأننى أحب أن
أجرب مهارتى فى تربية طفل ما ، لذا لوحاول أن
ينتزع منى هذا ، فعلى أن أستعيض بابنتى مكانه .

كان هذا التهديد ، بطفلة ايزابيللا كافيا بتقييد
أيدينا . وبعد أن كان ادجار لنتون مهتما بعض الشيء
فى البداية ، فلم يبد أى استعداد للتدخل .

وأصبح الضيف الآن سيد مرتفعات وذرينج .
كان مركزه قويا وقدم للمحامى الاثباتات الكاملة بأن
هنسلى قد رهن له كل شبر من الأرض التى كان
يملكها للحصول على المال لارضاء غرامة الجنونى
للمقامرة .

وبهذه الطريقة ، أصبح هيرتون ، الذى بدلا من
أن يكون السيد الأول فى المنطقة ، فى حالة استسلام
ورضوخ تام لعدو والده ، ويعيش فى قصره كخادم
بلا أجر ، عاجزا عن مساعدة نفسه ، لأنه بلا صديق
ولأنه يجهل كونه مظلوما .

الجزء الثانى
كاترين الثانية
أو
شجرة الانتقام تنمو

(١٧٨٤ - ١٨٠١)

ترويهما السيدة ايلين (نيللى) دين

الفصل الحادى والثلاثون

كاتى تغادر القصر

مرت اثنتا عشرة سنة كانت من أسعد أيام حياتى .
وكان اهتمامى الأكبر هو كاتى الصغيرة التى مرت
بمشاكل الطفولة العادية بسلام . واستطاعت المشى
والكلام بطريقتها الخاصة قبل ازدهار النباتات البرية
فى الصيف الثانى على مقبرة أمها . كانت الشئ
الساحر الوحيد الذى أضاع هذا البيت الحزين .

مرتفعات - ١٩٣

وكان الجمال الحقيقي فى وجهها مع عيون عائلة
ايرنشو السوداء وبياض بشرة عائلة لنتون وشعرهم
الأشقر ، وكانت روحها مريحة وقلبها رقيقا محبا ..
طبعاً كان لها عيوبها ، فهى مدله كاية طفلة تريد أن
تفعل ما تريد . ولقد تولى أبوها تربيتها ولم يعاملها
الا أطيّب معاملة . وحب الاستطلاع والذكاء اللماح
جعلها منها تلميذة نجبية ..

ولم تغادر بمفردها قط ما وراء حديقة القصر
حتى وصلت سن الثالثة عشرة .. وكان والدها
يصطحبها فى بعض المناسبات لنزهة بسيطة بالمنطقة ،
لكنها لم تذهب الى القرية مطلقا والمبنى الوحيد الذى
دخلته غير بيتها هو الكنيسة . أما بالنسبة لمرتفعات
وذرينج وهيثلكيف ، فلم تكن على علم بهما .

ورغم أنها كانت قنوعة بحياتها المستكنة ،
الا أنها كانت ترنو أحيانا من نافذتها بالطابق العلوى
وتقول :

— متى يمكننى أن أسير فوق تلك التلال
يانيللى ؟ كيف تبدو هذه الصخور عن قرب ؟

ولقد أخبرتها إحدى الخادمت عن الكهف
المدحش فى هذه الصخور ، فأخذت تستعطف أباه
لتذهب الى هناك ، ولقد وعدما بذلك عندما تكبر .
ولكن الأنسة كاتى كانت تقيس عمرها بالشهور
لا بالسنين ، لذلك كانت تكرر طلبها هذا باستمرار
.. وكان الطريق الى هذه الصخور يمر بجوار
مرتفعات وذرينج ، ولم يكن ادجار يحتمل أن يمر
أمام هذا المكان ، لذلك استمر فى الرفض
والتسويق ..

كانت عائلة لنتون رقيقة بطبيعة الحال . لقد
عاشت ايزابيلا اثنتا عشرة سنة فقط بعد تركها
لزوجها ، وقد أرسلت عند مرضها الأخير الى ادجار
تستعطفه أن يحضر اليها لتودعه ولتسلمه ابنها
ليبقى معه فى أمان . وكان أملها أن يعيش الولد
معه حيث أن الأب لا يبدى أى اهتمام .

ورغم أن سيدى لم يكن يحب مفادرة البيت ،
الا أنه لم يتردد للحظة ، وسافر فى الحال تاركا كاتى

التي أعطيتها لها ، وأخذت تضحك عندما طلبت منها
الا تتأخر .

ولم تظهر البنت الشقية على موعد تناول
الشاي . وعاد مسافر واحد ، الا وهو الكلب المجوز ،
ولكن لا أثر لكاتى ولا لجوادها ، فأرسلت الخدم
ليبحثوا عنها فى جميع الاتجاهات . وأخيرا خرجت
بنفسى .

فالتقيت بأحد العمال منكمكا فى تشييد أحد
الأسوار بالقرب من المزرعة . فسأله ان كان قد
راى سيدتنا الصغيرة ، فأجابنى :

— لقد رأيتها فى الصباح وهى تقفز بجوادها
من فوق السياج .. من هنا .. ثم غابت عن نظرى ..

الفصل الثاني والثلاثون

الزيارة الأولى للمرتفعات

جال فورا فى خاطرى أن كاتى لابد أن تكون قد ذهبت الى الصخور ، فنفذت من ثغرة كان يقوم الرجل باصلاحها ، ورحت أسير ميلا بعد ميل الى أن أصبحت قريبة من المرتفعات ، ولكننى لم أعثر لها على أثر .. كانت الصخور تقع على بعد ميل ونصف خلف المرتفعات ، وبدأت أخشى حلول الظلام قبل الوصول اليها ، وبدأت أفكر :

— ترى هل انزلت وهى تتسلق فأصابها مكروه ؟
كان قلقي عليها مؤلما ، وسررت جدا عندما رأيت ،
وانا أركض مارة ببيت المزرعة بمرتفعات وذرينج ،

كلبنا الشرس راقدا تحت إحدى النوافذ بأذن دامية ،
ففتحت البوابة وقرعت الباب بعنف ، فأجابته امرأة ،
عرفتها ، حيث كانت تعمل خادمة بالمرتفعات منذ وفاة
هندلى :

— آه ! لابد أنك جئت تبحثين عن الأنسة الصغيرة
.. لاتخافى ، انها هنا فى أمان . الحمد لله ظننتك
السيد *

فسألتها :

— اليس موجودا بالبيت ، اذن ؟

— كلا ، كلا ، أنه لايعود فى مثل هذا الوقت ،
ربما بعد ساعة أو أكثر .. ادخلى واستريحى قليلا .

دخلت ، ووجدت حملى الوديع كاتى جالسة بجوار
المدفأة على مقعد صغير ، كان فيما مضى لوالدتها وهى
طفلة . وكانت قبعتها معلقة على الحائط وبدت وكأنها
فى بيتها تماما ، تضحك وتتكلم مع هيرتون ، وهى فى
منتهى السعادة .. وكان قد بلغ الثامنة عشرة من عمره

قوى البنية ٠٠٠ وينظر اليها متطلعا باندعاش
وفضول . فقلت وأنا احاول اخفاء سرورى خلف نظرة
غاضبة :

— ان تصرفك قد أقلقنى يا آنستى ، هذه آخر
مرة تغادرين فيها البيت الى أن يعود والدك . لن أثق
فيك ثانية يا بنت ياشقية ! ارتدى هذه القبعة وهيا الى
البيت فى الحال !

فقلت وهى تنخرط فى البكاء :

— ماذا فعلت ؟ ان أبى لا يحدثنى بهذه اللهجة
القاسية . انه أفضل منك يا نيللى .

فتدخلت الخادمة قائلة :

— كلا ، خففى من غضبك على الآنسة الجميلة
يامسر دين . نحن الذين أوقفناها . لقد أرادت أن
تعود خوفا على قلقك ، لكن هيرتون عرض أن يذهب
معهما ووافقته على ذلك حيث أن الطريق وعمر ٠٠

ولم أكثر لحديث الخادمة وتابعت حديثي
قائلة :

- الى متى تتركينى أنتظر ؟ سيخيم الظلام بعد
عشرة دقائق !

والتقطت قبعتها ، واقتربت منها لاضعها على
رأسها ، ولكنها ، رأت أهل المنزل فى جانبها فراحت
ترقص وتركض حول الغرفة ، ولما طاردتها بدأت
تركض كالفار من فوق وتحت وخلف الأثاث . وبدأ
هيرتون والمرأة يضحكان ثم انضمت هى اليهما وهى
تهزل بى بصورة مازحة الى أن صرخت بها فى ضيق :
- آنسة كاتى ، لو كنت تعرفين بيت من أنت ،
لاسرعت بالخروج !

فاستدارت نحو هيرتون وسألته :

- انه بيت ابيك ، اليس كذلك ؟

فأجاب متلعثما :

- كلا ..

— بيت من اذن ؟ سيدك ؟

فاحمر وجهه ولم يحمر جوابا وولى مبتعدا .
فقال لي بطريقة شقية :

— لقد اعتقدت أنه ابن صاحب البيت . كان
يقول « بيتنا » « منزلنا » ولم يناديني بأنتة ، اذ كان
يجب عليه ذلك لو كان من الخدم . اليس كذلك ؟
واسود لون هيرتون وأصبح كسحابة راعدة ،
فالتفت نحوه وقالت :

— احضر لي جوادى ، ويمكنك أن تأتى معى . .
أسرع ! ماذا بك ؟

فقال لها الفتى متذمرا لاعتنا بأنه ليس بخادم لها .
ولم تصدق كاتى ما سمعته وهى « الملكة »
و « الحبيبة » فى البيت دائما ، فكيف تسمع من
يلعنها ! فصرخت :

— مسز الين ، كيف يسمح لنفسه أن يكلمنى
هكذا ؟ سأخبر والدى عما قلته أيها الشرير !

لم يكثرث هيرتون بهذا التهديد ، فأغرورقت
عينها بالدموع ، وقالت موجهة كلامها للخادمة :
- انت .. احضرى لى جوادى .

فاجابتها الخادمة :

- هدئى من روعك يا آنسة ، لن تخسرى شيئا
لو تحدثت بشكل مهذب ... فالسيد هيرتون ابن
خالك ، وأنا لست خادمتك الخاصة .

فقالت كاتى وهى تضحك فى استخفاف :

- ابن خالى ؟ لماذا ، لقد ذهب والدى الى لندن
ليحضر ابن عمى وهذا ابن ...

وتوقف الكلام فى حلقها وراحت تبكى .

لقد انزعجت منها ومن الخادمة لما كشفاه من
اسرار . فلا شك أن قدوم ابن ايزابيلا المنتظر ،
سوف ينقل الى السيد هيثكليف ، كما تأكدت أن أول
سؤال لكاتى عند عودته والدها سيكون عن تفسير صلة
قربة هيرتون .

واستعاد هيرتون هدوءه بعد أن أسامت فهمه وعاملته كخادم ، ويبدو أنه تأثر لضيقها ، فاحضر جوادها الى الباب . ولكى يرضيها ناولها كلبا صغيرا جميلا أتى به معه من الاسطبل ، وطلب منها أن تكف عن البكاء حيث أنه لم يقصد أية اساءة لها . فتوقفت عن بكائها ، ونظرت اليه فى فزع . . ثم عادت الى ما كانت عليه ثانية .

وقاومت الابتسامة بصعوبة وهى تشيح بوجهها عن الفتى المسكين الذى كان يبدو حسن المنظر ، جميل القد ، قويا ، نشيطا رغم أنه يرتدى ملابس تتلاءم مع عمله اليومى فى المزرعة ، وشعرت بأن لديه خصالا أفضل مما لدى أبيه . بعد ملاحظتى له ولطبيعته الشجاعة .

وتخيلت أن السيد هيثكليف لم يتسبب فى أى اذى نحوه ، وانه وجه كل طاقاته لابقاء الفتى بعيدا عن المدينة ، فلم يعلمه مطلقا القراءة والكتابة ، ولم يهذب له أية عادة سيئة ولم يلقنه أية عادة طيبة !

رفضت الأنسة كاتى عرضه السلمى للكلب الصغير وشرعنا للعودة الى البيت . ولم أستطع أن اكتشف من أنستى الصغيرة كيف قضت يومها ، الا بانها كانت متجهة الى الصخور عندما مرت ببوابة بيت مزرعة مرتفعات وذرينج حيث خرج هيرتون وهاجمتها كلابه ، ودارت معركة بينهم قبل أن يستطيع هيرتون ابعادهم عنها ، وخلق هذا فرصة للنعاف ، وسالته كاتى عن الطريق الى الصخور فأخذها الى هناك واطلمها على الكهف .

وأصبح هيرتون معززا الى أن جرحت شعوره . وحاولت اقناعها ان لا تذكر ما حدث لوالدها ، وبينت لها أنه يعترض على كل من بمرتفعات وذرينج ، وبأنه سيشتعر بالأسف اذا سمع بأنها كانت هناك ، وربما اذا أخبرته بأننى أهملت أوامره فسيغضب ويجعلنى أغادر البيت . ولم تكن كاتى تقدر على تحمل فراقى ، لذلك وعدتنى بالصمت . ولقد أوفت بكلمتها ، فهى فوق كل شيء ، فتاة صغيرة حلوة الخصال .

الفصل الثالث والثلاثون

هيتكليف يطالب بابنه

وصلتني رسالة موشاة بالأسود يعلن فيها سيدي
عن موعد عودته بعد وفاة ايزابيللا ، وطلب مني أن
أجهز غرفة لابن اخته .. وكانت كاتى تطير من الفرحه
لاستقبال والدها وهو عائد ومعه ابن عمته .

وجاء اليوم ، ولم تطق آنستى الصغيرة صبرا ،
فجعلتني أعبر الحديقة كلها للقائهم .. وظهرت
العربة أخيرا ، فصرخت كاتى ورفعت بذراعيها عاليا
عندما وقع نظرها على وجه أبيها مطلا من نافذة العربة ،
ونزل والدها فى لهفة كلهفتها .. وأثناء تبادلهما

القبيلات القيت نظرة على لنتون الصغير الذى كان نائما
فى ركن العربية ، ملفوفا فى الفراء ، وكاننا فى فصل
الشتاء . . كان شاحبا ، رقيقا يشبه البنات ، وكانت
ملامحه نفس ملامح سيدى تماما ، لكنه كان يبدو هزيلا
سقيما . .

ولما أفاق لنتون من نومه حمله سيدى ثم انزله
الى الأرض قائلا :

— هذا هو لنتون ابن عمك ياكاتى .

ثم جمع يديهما سويا وأضاف قائلا :

— انها مفرمة بك من قبل أن تراك ، حاول أن
تكون مرحا سعيدا ، فالرحلة قد انتهت .

خجل الصبى من ترحاب كاتى ووضع أصابعه
على عينيه ، ودخل ثلاثتهم الى البيت وصعدوا الى
المكتبة ، حيث كان الشاى معدا . وأجلست لنتون على
كرسى من كراسى المائدة بعد أن خلعت له سترته ،
ولكنه بدأ يصيح متذمرا :

— لا أستطيع أن أجلس على كرسى .

فاجابه خاله بصبر :

— اذهب واجلس فوق الأريكة اذن ، وستحضر
لك نيللى الشاى هناك .

فحملت كاتى أحد الكراسى الصغيرة مع فنجانها
وجلست بجانبه . وبقيت صامتة فى بادى الأمر ،
ولكن لم يدم هذا طويلا ، اذ عازمت على ملاطفة ابن
عمتها ، وبدأت تلامس خصلات شعره بلطف وتقبل
خدمه وتقدم له الشاى فى طبق فنجانها وكأنه طفل
صغير . فانفجرت أساريره ومسح على عينيه وأخذ
يبتسم ابتسامة باهتة .

وقال لى السيد بعد أن راقبهما لفترة :

— ستطيب له الحياة معنا يا نيللى ، اذا استطعنا
الاحتفاظ به . ومصاحبته لكاتى ستبعث فيه حياة
جديدة .

فقلت لنفسى :

— أجل ، أتمنى ذلك لو استطعنا الاحتفاظ به
معنا .

لكننى شعرت بأن الأمل ضعيف فى ذلك ..
واخذت أتساءل كيف يمكن للطفل الضعيف أن يعيش
فى مرتفعات وذرینج بین أبیه وهیرتون ؟
ولقد تحققت شكوكنا فى الحال ..

اذ بمجرد أن أخذت الطفلين الى غرفة النوم ،
وجاءت الخادمة من المطبخ لتخبرنى بأن يوسف ، خادم
السيد هينكليف ينتظر فى الخارج ويريد مقابلة
السيد .

وبعد تردد ذهبت الى المكتبة لأعلن عن قدوم
هذا الزائر غير المرغوب فيه . وكان يوسف قد تبعنى
دون أن ينتظر لادعوه للدخول ، وقال :

— أرسلنى هينكليف لآخذ ابنه . ولا يمكن أن أعود
اليه بدونك !

صمت اذجار لينون لفترة وارتسمت على وجهه
علامات الأسى وبدأ عليه حزن مرير لفكرة تسليمه
للطفل ، ثم أجاب بهتو : :

— قل للسيد هيثكليف أن ابنه سيأتى لمرتفعات
وذرينج غدا • أنه فى فراشه الآن ، ومتعب من أثر
السفر •

وانصرف يوسف بصعوبة لذهابه خالى الوفاض،
بعد أن هددنا بمجىء هيثكليف فى اليوم التالى ••

الفصل الرابع والثلاثون

لنتون يذهب الى بيته

ولتجنب مغبة تنفيذ هذا التهديد ، أمرنى ادجار
أن آخذ الصبى فى الصباح الباكر الى والده على جواد
كاتى ، وأضاف قائلاً :

— يجب أن لا تقولى لابنتى أين ذهب • فهى لن
تستطيع رؤيته فى المستقبل • قولى لها أن والده قد
طلبه ، وكان لابد أن يتركنا •

ولم يرغب لنتون الصغير فى مغادرة فراشه فى
الساعة الخامسة من الصباح التالى ، واندھش لقيامه
برحلة جديدة • فأخذت أخفف عنه مشقة الاستيقاظ

قائلة له بأنه سيمضى بضعة أيام مع أبيه المشتاق
لرؤيته بدون تأخير .

فصرخ الصبي قائلا :

- - أبى ! لم تخبرنى ماما أبدا بأن لى أب .
لماذا لم يعيش مع ماما سويا مثل بقية الناس ؟
- - لقد كان لديه أعمال تجعله يبقى فى الشمال
وصحة والدتك كانت تحتم عليها أن تعيش فى
الجنوب .

ولم يقتنع الصبي ، وعاد وقال :

- - أمى لم تكلمنى عنه . كانت تكلمنى دائما عن
خالى ، وهذا ما جعلنى أحبه . وكيف أحب أبى ؟

فقلت :

- - جميع الأطفال يحبون آباءهم .. هيا بنا .
فالركوب المبكر فى مثل هذا الصباح الجميل أفضل
من ساعة نوم أخرى .

- هل هي ستذهب معنا .. الفتاة الصغيرة
التي رايتها أمس ؟!

- ليس الآن !

- هل سيذهب خالي معنا ؟

- كلا ، سأذهب أنا معك الى هناك .

ففاص لتتوّن ثانية في فراشه وقال :

- لن اذهب بدون خالي .

وكان على أن أستمع بمساعدة سيدي لانتراعه
من الفراش . وأخيرا قام الصغير المسكين من فراشه
وهو يعلن أن زيارته لن تطول وأن على خاله وكاتى أن
يزوراه مع وعود أخرى كنت أقطعها على نفسى ليس
لها أى أساس من الصحة .

ومع الهواء النقى وشروق الشمس بدأ ينشرح
صدره ويسأل عن بيته الجديد .. هل مرتفعات
وذرينج مكان جميل مثل مزرعة تراش كروس ؟ ..
هل والده جميل المنظر مثل خاله ؟ .. **فقلت له :**

— ان بيتك أصغر ، لكنه ثانى قصر فى المنطقة .
أما والدك فهو مازال شابا فى عمر خالك ، لكنه أسود
الشعر والعينين ويبدو أكثر قسوة . وقد لا يبدو
عطوفا لطيفا فى البداية ، ربما ، لكنه سوف يحبك
أكثر من خالك ، لأنك ابنه .

وانشغل الصبى تماما ، بقية الطريق ، بأفكاره .
وكانت الساعة السادسة والنصف عندما وصلنا .
وكان أهل البيت قد انتهوا لتوهم من طعام الافطار ،
وكانت الخادمة ترفع الأطباق وتنظف المائدة وما أن
رأى هيكليف حتى صرخ قائلا :

— هالو ، نيللى ! هل أحضرت ما يخصنى ؟
دعبنى أراه ؟

ونفض متوجها نحو الباب ، وتبعه هيرتون
ويوسف بدافع الفضول . أما لنتون المسكين فنظر
الى ثلاثهم نظرة سريعة خائفة .

وقال يوسف بعد نظرة متفحصة :

— بالتاكيد ياسيدى ، لقد بدل معك وأرسل
لك فتاته !

وضحك هيثكليف باستهزاء ، وقال :

— يا للجمال ! يا للشئ الساحر الفنان . انه
أسوأ مما توقعت !

عندئذ طلبت من الصبى المرتعش أن يترجل
ويدخل . لم يفهم تماما حديث أبيه . ولم يكن متأكدا
بعد ، أن هذا الغريب القاسى الهازى هو أبوه ، ولكنه
تشبث بى بخوف متزايد ، وعندما جلس السيد
هيثكليف وطلب منه أن يأتى اليه ، أخفى وجهه فى
كتفى ، وبكى .

ومد هيثكليف يده وجذبه بقوة بين ركبتيه
وهو يقول :

— تعال ! لا داعى لهذا الكلام الفارغ . اننا لن
نؤذك يالنتون ، اليس هذا اسمك ؟ انك تشبه
والدتك تماما ، أين حصتى فيك ؟!

وخلع قبعة الصبي ودفع بخصلات شعره
الكثيف للخلف وتحسس ذراعيه الرفيعتين وأصابه
الصغيرة ، وتوقف لنتون عن البكاء ورفع عينيه
الزرقاوين الواسعتين ليتفحص من يتفحصه ، ثم سأل
هيشكليف :

— هل تعرفني ؟

فقال لنتون والخوف ينبعث من عينيه :

— كلا !

— كلا ؟ ياللعار .. ان والدتك لم توقظ
شعورك نحوي ! انت ولدي ، وساعتني بك ، فكن
ولدا طيبا . وانت يانيللي ، اجلسي ، اذا كنت متعبة .
والا فاذهبي الى البيت . فلن يستقر هذا الوضع وانت
واقفة هكذا .

— حسن ، ارجو ان تكون كريما معه يامسيد
هيشكليف ، فالصبي ضعيف ، وقد لا يتقوى على ان
يعيش طويلا .

فقال ضاحكا :

- لاتخافى ، ساكون كريما جدا معه . ولابدأ
كرمى ، قم يا يوسف واحضر طعام الافطار للصبي ،
وانت يا هيرتون ! اذهب الى عملك .

ثم اضاف بعد ذهابهم :

- اجل ، ان ابنى سيكون مالكا للمكان الذى
انت فيه ، ولن أتمنى موته حتى اتأكد من كونى
وريثه . علاوة على أنه ابنى وأريد أن أستمتع برؤيته
مالكا لممتلكاتهم ، ومستخدما أبناءهم فى زراعة أراضى
آبائهم بالأجرة . . ان مثل هذه الفكرة فقط هى التى
تجعلنى أتحصل هذا البائس . انه عديم القيمة فى
نفسه ، وانى أكرهه لما يعيده لى من ذكريات ! لكنه فى
أمان معى ، ولدى غرفة مؤثثة بشكل جميل من أجله .
ولقد اتفقت مع مدرس ليقوم بالتدريس له ثلاث مرات
فى الاسبوع . ولقد أمرت هيرتون أن يطيعه . فى
الحقيقة . لقد رتبت كل شىء لأجعل منه سيذا .
ومع كل هذا ، أرى أنه لا يستحق تعبى . لو تمنيت

أى شيء فى الدنيا ل تمنيت أن أجده مدعاة لفخرى ،
ولكن خاب أملى فى هذا الطفل الخنوع !

و أثناء حديثه ، أحضر يوسف الافطار وكان
عبارة عن عصيدة ، وضعها أمام لنتون الذى نظر اليها
نظرة اشمزاز ، وأعلن أنه لا يستطيع أكلها .

وغضب يوسف ، ولكن هيثكليف طلب من مدبرة
المنزل أن تقدم له ما يرغب فى أكله . وانسللت
خارجه ، حيث لم يكن هناك سبب لبقائى ، وذلك
أثناء انشغال لنتون بكلب الرعى الودود . ولكنى
سمعت وأنا أغلق الباب صرخة ، وتكرار يائس لهذه
الكلمات :

— لا تتركينى ! لن أبقى هنا ! لن أبقى هنا !

الفصل الخامس والثلاثون

تفضلا الى بيتي

كان امامنا عمل شاق مع كاتى فى ذلك اليوم .
فلقد استيقظت فى ثورة عارمة ، شغوفة بأن تلحق
بابن عمته وانخرطت فى البكاء لمفادته البيت .
وكننت عندما اقابل مدبرة منزل مرتفعات وذرينج
من حين لآخر فى القرية اسألها عن صحة لنتون ، حيث
كان يعيش حياة مستترة ، مثل كاتى نفسها ، فلا يراه
احد . وعلمت أن صحته ضعيفة ، وأنه صعب التوجيه ،
ويبدو أن السيد هيثكليف يزداد كرها له رغم أنه
يحاول أن يخفى ذلك . وكان لا يحتمل أن يكون معه
فى غرفة واحدة لمدة طويلة .

وكان لنتون يتعلم دروسه ، ويقضى أمسياته
فى غرفة صغيرة خاصة به ، أو يرقد فى فراشه طوال
اليوم ، حيث أنه كان دائما مصابا بالسعال ونزلات
البرد ، ويشكو من الآلام والأوجاع بجميع أشكالها ..

وبعد سنتين تركت هذه السيدة المنزل وجاءت
مديرة أخرى مكانها ، لم أكن على معرفة بها .

ومر الوقت فى المزرعة بطريقة سعيدة حتى بلغت
الآنسة كاتى سن السادسة عشرة من عمرها . وكنا
لانتفل بيوم مولدها مطلقا ، لأنه كان يوم وفاة والدتها
أيضا . وكان والدها يقضيه بمفرده ، ويقوم بالمشى
الى المقبرة ويترك كاتى لتقوم بتسليتها نفسها .

كان ذلك من أيام الربيع الجميلة ، ونزلت سيدتى
الصغيرة مرتدية ملابس الخروج قائلة بأن أباه قد
سمع لها بالذهاب الى بداية منطقة المستنقعات معى ،
على أن لا تنوغل فيها .

واضافت قائلة :

— هيا اسرعى يا نيللى ! اريد أن أرى الطيور الصغيرة التى هناك . لابد أنها أقامت أعشاشها .

فقلت لها :

— أن المسافة الى هذه الطيور بعيدة !

فقالت :

— كلا ، لقد ذهبت مع أبى ورأيتها .

لم أفكر كثيرا فى الأمر ، وأعددت نفسى ، وأقلعنا سويا . وكانت تركض هنا وهناك طول الطريق ، وفى البداية وجدت تسليية كبيرة فى الاستماع الى الطيور وهى تغرد من بعيد ومن قريب . واستمتعت بأشعة الشمس الدافئة وبمراقبة عزيزتى الصغيرة وخصلات شعرها الذهبى تتطاير من خلفها ، ووجهها الساطع ناعم نقى كالوردة ، وعينيها تلمعان بالسعادة .

فقلت لها :

— حسن ، أين طيورك يا آنسة كاتى ؟ لقد سرنا

طويلا ١٩

فكانت تجيب باستمرار :

— أبعد قليلا .. أبعد قليلا ..

وبدأت أخيرا أشعر بالارهاق وطلبت منها الاستعداد للرجوع . وكانت تتظاهر بعدم السمع ، وكان على أن أستمِر في اللحاق بها . واختفت من أمامي داخل تجويف الصخور ، وعندما ظهرت ثانية ، كانت لا تبعد أكثر عن ميلين من مرتفعات وذرنيج . ورأيت شخصين يقومان بالقبض عليها ، وكان أحدهما السيد هيثكليف .

قبضا عليها كسارقة أو على الأقل لأنها تصطاد الطيور في المرتفعات وهي أرض ملك السيد هيثكليف ، الذي كان يحذرهما ، وأظهرت هي له يديها الفارغتين

قائلة :

— لم آخذ شيئا ، بل لم أعتز على أي طائر ..
لقد أخبرني أبي بوجود كثير منها هنا ، وكنت أود أن أرى بيضها !

وبابتسامة شريرة سألتها هيثكليف من والدها ؟ ..

فاجابت :

- السيد لنتون صاحب مزرعة تراش كروس ،
اعتقد أنك لا تعرفنى والا ما تحدثت معى بهذه الطريقة .

حال فى نبرة استعفاف :

- وتعتقدين أن أباك رجل محترم ، اذن !
- ومن أنت ؟ ومن هذا الشاب ، أهو ابنك ؟
وأشارت الى هيرتون الذى بدا ضحكا قويا
عما قبل ، لكنه لا يزال خشنا تعوزه اللباقة .

فتدخلت قائلة :

- آنسة كاتى . يجب أن نعود الى البيت الآن .

فاجاب هيثكليف وهو ينحنى جانبا :

- كلا ، هذا الشاب ليس ابنى ... لكن لدى
ابن ، لقد رأيته من قبل .. اعتقد من الافضل لك

ولربيتك أن ترتاحا قليلا . تفضلا الى بيتي ،
وستلقيان ترحيبا كريما .

وهمست لكاتي بالا تقبل الدعوة بأية حال ،
ولكنها ركضت نحو البيت ، وأمسك هيثكليف
بذراعي . فقلت :

- ان عملك هذا ، يا سيد هيثكليف ، ليس
لائقا ، وسيلومني سيدي على هذا عند عودتنا .

فاجاب :

- اريدها ان ترى لنتون . فهو احسن حالا في
هذه الايام الاخيرة . اني ارجب في ان يحبا بعضهما
ويتزوجا ، فهي ابنة خاله وهو ابن عمته . وهذا كرم
مني ، حيث ان الفتاة لن ترث شيئا عندما يموت
ابوها .

فقلت :

- ان صحة لنتون ليست على مايرام ، واذا توفي
ستصبح كاتي وريثة لهذا القصر .

— كلا ، لن تكون • فلا يوجد ترتيب من هذا
النوع في الوصية • فالملكية ستؤول الى ، ولتجنب
النزاع أرغب في أن يتزوجا •
وتقدمنى نحو البوابة ، حيث كانت الأنسة كاتى
تنتظرنا •

الفصل السادس والثلاثون

الزيارة الثانية للمرتفعات

رمقت كاتى هيثكليف بنظرات عديدة ، وكانها لم تستطع أن تقرر ماذا تفكر فيه ، ولكنه بدأ يبتسم حاليا وينعم من صوته عندما يخاطبها . ولكنى كنت لا أزال حمقاء ، فى أن أتخيل أن ذكرى والدتها قد تحته على عدم ايذاها .

كان لنتون يقف بجانب المدفأة ، حيث كان قادما من الحقول ، وكان ينادى على يوسف ليحضر له حذاء جافا . لقد طالت قامته ، ومازال وجهه جميلا وكانت عيناه وبشرته أكثر صحة عما كانت عليه . وسال هيثكليف وهو ينظر الى كاتى :

— والآن ، من هذا ؟ هل عرفته ؟

فنظرت كاتى اليهما فى ريبة ، وقالت :

— ابنك ؟

— ان ذاكرتك لضعيفة • وانت يالنتون الا تذكر
ابنة خالك ، التى كنت ترغب فى مقابلتها دائما ؟

وصرخت كاتى بفرح :

— من ؟ لنتون ! هل هذا حقا لنتون الصغير ؟
انه أطول منى !

ثم قفزت نحوه وقبلته ، وأخذوا ينظران
باندهما الى التغيرات التى أجراها الزمن على
مظهرهما • لقد اوصلت كاتى الى أقصى طول لها فى
صحة وخفة روح •

أما لنتون فكانت نظراته وتحركاته تنقصها
الحيوية ، لكن كان فى سلوكه نوع من الرشاقة •
ثم استهدارت كاتى الى هيثكليف وشبت لتقبله أيضا
وهى تقول :

- وأنت زوج عمتي اذن ! اعتقد اننى ارتحت لك ، رغم أنك كنت فظيحا فى البداية . لماذا لاتزور المزرعة مع لنتون ؟

واستمرت تقول وهى تستدير نحوى :
- آه يانيللى يا شقية .. ياشريرة ، أتحاولين أن تمنعيننى من الدخول !

فقال هيشكليف :

- لاتضيعى قبلاتك على ، اعتقد اننى يجب أن اعلمك بأن السيد والدك متحامل ضدى . لقد تشاجرنا ذات مرة سويا ، واذا أخبرته عن زيارتك الى هنا ، فانه سيمنعك من المجيئ مرة أخرى ..

وسأله كاتى بدهشة وبخيبة أمل :

- وما هو سبب النزاع بينكما ؟

فاجاب هيشكليف :

- لقد رفض زواجى من شقيقته ، لأنه كان يرانى فقيرا ، وعندما تزوجتها حزن تماما .

— هذا خطأ ، وسأخبر والدى بذلك فى يوم ما •
أما لنتون وأنا فلا علاقة لنا بنزاعكما • لن آتى الى هنا
بل سيأتى هو الى المزرعة •

فتمتم ابن عمته قائلا :

— انها بعيدة • أمشى أربعة أميال ! ان هذا قد
يقتلنى •

ونظر الأب بنظرة احتقار مريرة لابنه وقال له ::

— اليس لديك شىء تريه لابنة خالك ؟ خذها الى
الحديقة قبل أن تغير حذاءك •

فسال لنتون كاتى مبديا تقاعسه :

— الا تفضلين الجلوس هنا ؟

فأجابت وهى تنظر الى الباب :

— لا أدرى •

فاحتفظ بمقعده واقترب به من المدفأة • ونهض
هينكليف ، ونادى على هيرتون ، فأجاب هيرتون الذى

ظهر فى الحال • لقد كان يفتسل ، كما هو ظاهر
من خدوده البراقة وشعره المبتل • **فصرخت كاتى**
قائلة :

— انه ليس ابن خالى ، اليس كذلك يا عمى ؟

— انه ابن أخ والدتك ، الا تحبينه ؟

وبدا على كاتى التردد ، وشبت وعمست بجملة
فى اذن هيثكليف ، الذى ضحك واصبح وجه هيرتون
عابسا مكفها • لكن سيده ، أو الوصى عليه طارد
عبوسه **قائلا :**

— ستكون المفضل بيننا يا هيرتون ! لقد قالت
شينى لطيفا جدا عنك • رافق الأنسة فى جولة حول
المزرعة ، وتصرف كسيد • ولا تستخدم أية الفاظ
بذيئة ، ولا تبخلق فيها بعينيك ، وتكلم ببطء واحتفظ
بيديك خارج جيوبك •

وراقبهما وهما يمران بالنسافذة • وكان هيرتون
يسير دون أن ينظر الى رفيقته • **وقال هيثكليف فى**
رضا :

— لقد عقدت لسانه ، سيخشي أن يتفوه بأية كلمة نابية . هل تتذكرينى ، يا نيللى ، وأنا فى سنه ؟ .. لا ، بل وأنا أصغر منه .. هل كنت غيبا هكذا ؟

فاجبت :

— اسوأ ، لأنك كنت عكر المزاج .

واستمر قائلا :

— ائنى استمتع به هكذا ، ولو كان ولدا غيبا لما استمتعت بنصف متعتى هذه . ويمكننى أن أتعاطف مع جميع أحاسيسه ، كونهى أحسستها بنفسى . ولن يقدر على الهروب من فظاظته وجهله ، لأننى علمته بأن يتفاخر بحاله . لقد كنت معه أسرع مما كان أبوه معى . وأفضل شيء فى الموضوع ، أن هيرتون مفرم بى تماما . وإذا قام أبوه من قبره ليتهمنى بالخطأ فى حق ابنه ، فسيتقاتل معه هذا الابن ليحمينى كصديقه الأوحى فى العالم !

وأصدر ضحكة شريرة ، بينما شعر لنتون أثناء ذلك ، ربما بالأسف لفقده فرصة مرافقة كاتى ، وبدأ يقلق ، فنهض وانطلق خارجا .

وكانت كاتى تسال هيرتون عن الكلمات التى فوق الباب ، ونظر هيرتون الى أعلى وأخذ يحك رأسه ثم أجاب :

— بعض الكتابة ، اننى لا أستطيع قراءتها ..

فأصدر لنتون ضحكة صغيرة سخيفة ، وقال لكاتى :

— انه لا يعرف حتى حروف اسمه . هل رأيت أحدا بهذا الجهل ؟ .. ولا يوجد هناك الا مجرد الكسل .. اليس كذلك يا هيرتون ؟ .. هل لاحظت نطقه السيء ؟ أنه يحتقر « تعليم الكتب » كما يسميه !

فقال هيرتون :

— لماذا ؟ ما الفائدة من ورائه ؟

وانفجر لنتون وكاتى فى نوبة من الضحك بصوت عال ، وغادرهما الشاب الحانق المسكين ووجهه مشتعل بالغضب والخجل . ابتسم السيد هيثكليف عندما رآه يذهب ، ولكنى رأيت بعد ذلك يوجه نظرة كراهية للثنين اللذين استمرا فى الاستمتاع بالاحساس بالتفوق . وبدأت أكره لنتون أكثر مما أشفق عليه ، وأخذت أجد العذر لأبيه بعض الشيء فى أن يفكر فيه بهذا الشكل السيئ .

الفصل السابع والثلاثون

سر كاتى

بقينا بالمرتفعات الى ما بعد الظهر ، اذ لم أستطع
انتزاع كاتى قبل ذلك . ولحسن الحظ بقى سيدى فى
غرفته ، ولم يعرف شيئا عن غيابنا الطويل .

وفى اليوم التالى ، لم أشعر بالأسف ، رغم ان
الحقيقة قد عرفت ، اذ اعتقدت أن المسئولية فى توجيه
وتحذير سيدتى الصغيرة تقع على عاتق أبيها أكثر مما
تقع على ، لكنه كان حذرا فى اعطاء الأسباب التى من
أجلها يجب أن تتجنب أهل المرتفعات .

وكانت كاتى تحب أن تعرف الأسباب الحقيقية

لاى شىء يتعلق بشئونها .. واخيرا اخبرها والدها باختصار عن معاملة هيثكليف لايزابيللا .. وبدا عليها أنها اندهشت وتكدرت لهذه الرؤية الجديدة للطبيعة البشرية ، حتى انه لم يجد من الضرورى أن يخبرها بأكثر من ذلك .

وقبلت والدها ، ثم انصرفت فى هدوء لمتابعة دروسها لساعة أو ساعتين ، ثم ذهبت معه بعد ذلك فى جولة حول القصر ، ومضى بقية اليوم كالمعتاد . ومع ذلك ففى المساء عندما توجهت اليها فى غرفتها لمساعدتها فى خلع ملابسها ، وجدتها جائئة بجانب السرير وهى تبكى . فقلت لها :

— يالك من طفلة ساذجة ! من المخجل أن تذرف عيناك دمعة واحدة على موضوع بسيط كهذا .

— اننى لا أبكى الا من أجل لنتون ، أنه سيشعر بخيبة أمل ان لم يرئى ثانية .

— كلام فارغ ! سيفهم ما حدث ، ولن يزعج نفسه بك أكثر من ذلك .

- ولكن الا اكتب له كلمة موجزة أخبره فيها
سبب عدم ذهابي ؟ .. او أرسل له هذه الكتب التي
وعده بها .

فاجبتها بحسم :

- كلا بالطبع ، والا سيكتب لك ولن توجد نهاية
للموضوع .

- ولكن مجرد رسالة قصيرة ...

فقاطعتها قائلة :

- كفى ! لن نرسل أية رسالة ، واذهبي الى
فراشك .

فرمتني بنظرة عاصية وعنيدة لدرجة أنني لم
أقبلها قبلة النوم ، وغطيتها وانصرفت ، وبعد أن
أغلقت الباب ، أحسست بالأسف ، فعدت اليها
بهدهو ، فوجدتها واقفة بجوار المائدة وتمسك في يدها
ورقة وقلما ، وعندما لاحظتني أخفتها مع احساس
بالذنب ، فقلت لها :

— لن يأخذها منك أحد إذا كتبتها .

وأطفاة الشمعة وأنا أتحدث . .

ومرت أسابيع واستردت كاتي هدوءها ،
وأصبحت مفرمة بقراءة الكتب . . وإذا اقتربت منها
كانت تحاول أن تخفيها ، ويبدو أنها كانت تخفي بعض
الأوراق بين صفحاتها . وأصبحت لديها أيضا عادة
النزول مبكرا الى المطبخ وكأنها تتوقع شيئا ، وكان
لديها درج صغير في خزانة المكتبة الذي تتفحصه طويلا
ومفتاحه تحتفظ به في حرص شديد .

وفي أحد الأيام ، لاحظت أن ما تخفيه في سرية
وغموض ما كان الا وريقات مطوية ، فتتقظ شكى
وفضولى ، لذا بحثت بين مفاتيحي ، فوجدت مفتاحا
يفتح هذا الدرج ، فأخذت أتفحص هذا الكنز
الخاص بها .

كان يحتوى على مجموعة من الرسائل اليومية
من لنتون هيثكليف تجيب على رسائل منها ، فربطتها
في منديل وأعدت اغلاق الدرج خاويا .

ورافبتها فى الصباح التالى ، وهى تنزل الى المطبخ
مندفعة نحو الباب عند قدوم الصبى الصغير بائع اللبن .
وأثناء تناول الخادم اللبن كانت هى تضع شيئا فى
جيبه ، وتأخذ شيئا آخر منه . تبعت الصبى الى
الحديقة ، ونجحت فى الامساك بالرسالة ، رغم أنه
قاوم بشجاعة ليدافع عن الثقة التى وضعتها فيه ،
فسيكنا اللبن فيما بيننا ، واستندت على الحائط
وقراتها . كانت أكثر بساطة وأخلاصا من رسائل
ابن عمته : جميلة جدا ، وبلهاء جدا .

كان يوما ممطرا ، لذلك ذهبت كاتى ، بعد
الانتهاء من دراستها الصباحية ، الى درجها لتسلى
نفسها . كان أبوها جالسا يقرأ على المائدة ، وكنت
أنا ، عن قصد ، أصلح الستارة بجانب النافذة وأراقب
كل ما يحدث .

لن يعبر أى طائر عن فجيئته ، بكل صراخه
عندما يعود الى عشه ويجد صغاره مسروقين ، أكثر
مما عبرت هى عنه فى الآهة الوحيدة التى أصدرتها !

ورفع السيد ادجار بصره وقال :

- ما الأمر يا عزيزتى ؟ هل جرحت نفسك ؟

فاجابت بصعوبة :

- لا يا أبى ، نيللى ! نيللى ! تعال الى غرفتى ،
اننى أشعر بالأعياء !

وطاوعتها فى الحال .

- أوه ، نيللى ، لقد اخذت الرسائل . اعيديها
لى ، ولا تخبرى والدى بشئ ! لقد كنت عاصية تماما ،
ولن أعود الى ذلك ثانية !

- سأذهب بهذه الرسائل الى المكتبة وسنرى
ما يقوله والدك عن هذا الكلام الفارغ .

وحاولت ان تاخذها منى ، ولكنى أمسكت بها
ورفعتها فوق رأسى ، فاستعطفتنى أن أحرقها ،
أو أفعل أى شئ فيها الا أن أذهب بها الى والدما .
فقلت لها وأنا ألقوم لأمنع نفسى عن الضحك :

- هل تعدينى بالآ ترسلى ولا تستلمى آية
رسالة ولا كتاب ولا خصلة شعر ولا خواتم ولا أى شىء
من هذه الألاعيب ؟ .

فصرخت كاتى وكبرياؤها يتغلب على خجلها :

- أننا لا نرسل الألعيب .

- أهكذا ؟ اذن ، ياسيدتى !

فصرخت وهى تتمسك بشيايى :

- اننى أعدك يا نبلى !

ولكنى عندما بدأت فى وضع الرسائل فى
المدفأة ، كانت التضحية مؤلمة ، فقالت :

- أرجو أن تبقى على رسالة أو اثنتين من أجل
خاطر لنتون !

لكننى لم أكرث لطلبها ، وواصلت لقاء الرسائل
الى اللهيپ . فصرخت واضعة يدها فى المدفأة
لتسحب قطعاً نصفها محترق مع التساع أصابعها :

— أريد أن أحتفظ بواحدة فقط ، أيتها الظالة !

— حسن جدا . . . إذن سأعطى والدك بعضها !

عند ذلك أفرغت ما فى يدها من أوراق نصفها
مسود فى النار . وذهبت الى غرفتها دون أن تتفوه
بكلمة . . . أما أنا فنزلت لأخبر السيد بأن كاتى قد
شفيت من نوبة الاعياء وأننى نصحتها بأن ترتاح فى
فراشها قليلا .

وعلى موعد الشاى بدت شاحبة محمرة العينين
ولكنها كانت فى حالة هدوء تام .

وفى الصباح التالى ، كتبت ردا على رسالة
لنتون ما يلى :

« المطلوب من السيد لنتون هيثكليف الا يرسل
أية رسائل أخرى للآنسة كاتى . حيث انها لن
تستلمها » .

ومنذ ذلك الحين يأتى بائع اللبن الصغير ويذهب
وجيوبه خاوية .

الفصل الثامن والثلاثون

نتيجة تسلق الجدار

وصل الصيف الى نهايته . وكانت المحاصيل متأخرة في ذلك العام . فكان السيد ادجار وابنته كثيرا ما يتمشيان بين المزارعين العاملين في الحقول ، وفي آخر أيام جمع المحاصيل بقيا حتى انسدل الليل . وكان نتيجة لذلك أن أصيب سيدي بنزلة برد شديدة أثرت في رئتيه ، وجعلته يلزم البيت خلال فصل الشتاء بطوله .

أما كاتى المسكينة ، فأصبحت أكثر قتامة وحزنا منذ انتهاء موضوع حبها النصير ، وأصر والدها أن تقلل من القراءة وتزيد من الرياضة والمشي . ولم

تعد تصاحبه ، ورغم أننى حاولت سد النقص ،
الا أننى لم أستطع الا توفير ساعتين أو ثلاث ساعات
من واجباتى اليومية العديدة .

وبعد ظهر أحد الأيام الأولى من شهر نوفمبر ،
بدت السماء وكأنها على وشك أن تمطر ، لذا طلبت
من سيدتى الصغيرة الاقلاع عن فكرة المشى ، ولكنها
رفضت . لذلك ارتديت ملابس الخروج وأنا غير
راغبة ، على أن أذهب معها الى نهاية المزرعة . هذه
هى التمشية التى كانت تختارها عندما تحس
بالكآبة ، مثل الآن ، حيث حالة سيدى أصبحت أسوأ
من المعتاد .

وعندما اقتربنا من باب مفتوح على الطريق ،
أصبحت سيدتى أكثر ابتهاجا وتسلمت الحائط
وجلست فوقه لتلتقط بعضا من التوت الأحمر من
الشجرة البرية ، وسقطت قبعتها خارج السور ،
فقفزت لتحضرها .

وكان الرجوع لداخل القصر ليس بالأمر السهل ،

لأن أحجار السور كانت ملساء من الخارج ، ولم أتذكر ذلك الا عندما سمعتها تضحك وتنادى قائلة :

- نيللى .. نيللى .. عليك أن تحضرى المفتاح والا على أن أركض حول المزرعة لأدخل من البوابة الرئيسية .

- ابق كما أنت ، فلربما أستطيع فتح الباب باحدى هذه المفاتيح الموجودة فى جيبى .

وحاولت جميع المفاتيح دون جدوى ، وبعدها سمعت صوت جواد ، ثم همست كاتى تحثنى قائلة :

- نيللى ، افتحى الباب .

ثم سمعت صوتا عميقا يصيح قائلا :

- أهلا يا كاتى ، اننى مسرور بلقائك . وأود إن أستفسر عن شئ ! .

فأجابت كاتى قائلة :

- اننى لا أريد التحدث معك يا سيد هيثكليف ، لأن والدى قال بأنك رجل شرير ، وانك تكرهنا نحن الاثنين ، وهذا ما قالته نيللى أيضا .

فقال هيثكليف :

— ان هذا ليس بيت القصيد . وانا لا اكره
ابنى ، على ما اظن ، وهذا ما جئت من اجله للفت
انتباهك نحوه . اجل ! قد يكون هناك سبب لجلك !
فلقد تمودت منذ شهرين او ثلاثة اشهر على الكتابة الى
لنتون . لقد حصلت على رسائلك ، واذا لم تستجيبى
لى ، فساطلع والدك على كل شئ . هل مللت التسلية ؟
حسن ، ان لنتون كان شغوفاً بك . انه يموت من
اجلك ، وقلبه يتحطم بسبب قسوتك ، ويزداد سوءاً
كل يوم . واذا لم تقدمى له يد المساعدة فسيكون
تحت التراب قبل حلول الصيف القادم .

فصرخت :

— كيف تكذب على هذه المسكينة دون أدنى
خجل ! كاتى . . ساكر القفل بحجر لافتحه . . وبقية
واحدة . . لاتصدقى كلامه .

فتمتم هيثكليف :

— لم اكن اعرف ان هناك من يتصنت .
مسز دين . . كيف تكذبين دون أدنى خجل ! آنسة
كاتى ساغيب لمدة اسبوع عن البيت ، يمكنك ان تذهبي
وتتناكدي من صدق قولي .

وانكسر القفل ، وخرجت وامسكت بذراع كاتى
وأجبرتها تقريبا على الدخول ، حيث كانت تنظر
الى المتحدث بعيون مضطربة . وأغلقت الباب . وكان
المطر قد بدأ ينهمر فأسرعنا الى الداخل فى سكون .

وفى المساء ، أخذت تبكى وحدها ، وكنا جالستين
بجوار المدفأة .

وكان حديثى معها بلا جدوى ، فلقد قام هيثكليف
بدوره بكل مهارة وحذق .

وقالت :

— قد تكونى على صواب يانيللى ، لكن لن يهدأ لى
بال حتى أعرف !

وما فائدة القضب والجدل اذا تصميها
وفى اليوم التالى توجهت الى مرئعات وذرينج مع كاتى*
لم استطع تحمل سفها ولا وجهها الشاحب وعينيها
الثقيلتين .. واستسلمت على أمل أن ينقض لنتون ،
بطريقة استقباله لها ، ما قاله أبوه ..

الفصل التاسع والثلاثون

لنتون صعب الطباع

أعقب الليلة المطيرة صباح مليء بالضباب ،
وأعترضت جداول الماء المندفعة من التلال طريقنا ،
وابتلت قدمائنا تماما ، وأحسست بالضيق والانزعاج .
ودخلنا بيت المزرعة عن طريق المطبخ ، لتتأكد من عدم
وجود هيثكليف فعلا .

كان يوسف يجلس بمفرده قرب المدفأة ، يستمتع
بالدفء ، وغليونه في فمه ، وأخذ يجيب على أسئلتنا
بغير مبالاة . وسمعنا صوتا من الداخل ينادى :

—يوسف ! كم مرة سأنادي عليك ؟ لم يبق الا
قليل من الرماد الأحمر .

لم يبد يوسف أى اهتمام ، ولم نر مدبرة المنزل
ولا هيرتون ، ربما كانا مشغولين في مكان آخر . وعندما
تأكدنا أنه صوت لنتون ، أسرعنا إليه . وطارت ابنة
خاله الى جواره .

فرفع رأسه من على مسند الكرسي الكبير الذى
يرقد عليه وقال :

— اهذه أنت ياكاتى ؟ ارجو أن تغلقى الباب من
فضلك ، لقد تركته مفتوحا . وهؤلاء الأندال يرفضون
احضار الفحم للمدفأة . أن البرد لشديد !

قصت واشرفت على المدفأة ، وأحضرت بعض الفحم
بنفسى . وأخذ الصبى المريض يشتكى من أن الرمد
يقطيه ، لكنه كان يسعل سعالا شديدا ، وبدأت عليه
الحمى . . وقالت له كاتى :

— حسنا يالنتون ، هل أنت مسرور برؤيتى ؟

— لماذا لم تأت من قبل ؟ كان يجب أن تأتى ،
بدلا من الكتابة . ان كتابة الرسائل اتعبتنى بشكل

فظيح • والآن ، لا أستطيع ان أحتمل الكلام ، ولا أى
شئ آخر •• أين زيللا ؟ هل تسمحى أن تبحنى عنها
فى المطبخ •

وحيث أننى لم أحصل على أى شكر ازاء ما قمت
به من خدمات أخرى ، لذلك بقيت حيثما كنت ،
واجبت :

- لا يوجد أحد هناك سوى يوسف •

- أريد أن أشرب • ان زيللا دائمة الذهاب الى
جيمرتون ، منذ أن تغيب والدى ، وأنا مضطر أن أنزل
الى هنا •• لأنهم يتظاهرون بعدم سماعهم نداءاتى من
الطابق العلوى •

وذهبت كاتى تبحت له عن ماء وملات له كوبا
وأحضرت له • فطلب منها أن تضيف ملعقة نبيذ فيه
من زجاجة على المائدة ، وبعد أن ابتلع قليلا ، بدى
أفضل حالا ، وقال أنها كريمة جدا • ثم كروت
سؤالها :

- هل أنت سعيد برؤيتى ؟

- أجل ، ولكن عدم حضورك من قبل أزعجني ،
وقال والدي أنها غلطتي وأنتي عديم النفخ ، وقال
لو كان مكاني لأصبح حاليا سيد مزرعة تراش كروس ،
بدلا من والدك .

وقالت كاتي :

- انني لا أجرؤ على الحضور ووالدك موجود ،
هذا اذا حصلت على اذن والدي . أود أن أقضى نصف
وقتي معك . كم أتمنى لو تكون أخى !

- اذن ستحبيني كما تحبين والدك ؟ لكن أبى
يقول بأنك ستحبيني أكثر من أى شخص آخر ، اذا
كنت زوجتي .

- الناس يكرهون أزواجهم أحيانا .. لكنهم
لا يكرهون أخوتهم .

فاعلمن لنتون أن الناس لا يكرهون أزواجهم ،
لكن كاتي كررت قولها وأعطت مثل أبيه وكراهيته
لعمتها . وحاولت أن أضع حدا لحديثها ، لكنها كشفت

له عن كل ما تعلمه . وأعلن لنتون أن قصتها مزيفة .
فاجابت :

– لقد اخبرني ابي بذلك وهو لا يقول لي اشياء.
مزيفة .

– ان ابي يحتقر والدك !

– ان والدك رجل شرير !

فقال لنتون :

– حسنا ، سأخبرك بشيء : ان والدتك كانت
تكره والدك ، فما رأيك ؟

فصرخت كاتى ، ومن غضبها لم تستمر ،
فأضاف هو قائلاً :

– وعى أحبت والدى !

فصرخت كاتى :

– هذا افتراء . . وأنا أكرهك الآن .

فاخذ يفنى قائلا وهو يفوص فى كرسية مستمتعا
بتعاسة رفيقته التى تقف خلفه :

— احبته ! .. احبته !!

وفقدت كاتى التحكم فى نفسها ، فدفعت بالكرسى
بعنف ، فتسببت فى سقوطه على ذراعه ، انتابته نوبة
سعال اوقفت تنفسه . فأنهت فى الحال لحظة انتصاره
واصابنى الخوف على لنتون .. اما ابنة خاله فاخذت
تبكى بعنف برغم انها لم تضق شيئا ، وامسكت به
حتى انتهت النوبة . ثم دفع بى بعيدا ، واحنى رأسه
الى أسفل فى سكون . واخذت كاتى مقعدا مقابلا له
واخذت تنظر الى المدفأة . وبعد عشر دقائق تقريبا
سألته :

— ماذا تشعر الآن ياسيد لنتون ؟

فاجاب :

— اود أن تشعر ما أشعر به . هذه القاسية !
واخذ يشن لمدة ربع ساعة فقالت ابنة خاله

أخيرا :

— أسفة ان كنت آذيتك يالنتون . لم اكن اتخيل
ان دفعة بسيطة كهذه تسبب لك كل هذا . أنها لم
تكن قوية ، اليس كذلك ؟

فتتم قائلا :

— لم أعد اقدر على الحديث معك ، لقد آذيتني
جدا ، وسأظل متيقظا طوال الليل على هذا السعال .
وبدا يبكي .. فسألته كاتى بحزن :
— هل تريد أن اذهب ؟

— دعيني وحدي !

وانتظرت طويلا .. ولم ينظر اليها . وفي النهاية
تحركت في اتجاه الباب وانا من خلفها ، ولكننا عدنا
على صوت صرخة قوية ، فقد وقع لنتون من مقعده على
الأرض وأخذ يتلوى . وانحنى كاتى وأخذت تصرخ .
فقلت :

— سارفعه ليرتاح على الكنبه وليتلوى كما يشاء .
لا نستطيع أن نقف ونراقبه . وأرجو أن تكونى قد
اقتنعت بأنك لن تكونى مفيدة له .

فاقتربت منه ووضعت وسادة تحت رأسه ،
وقدمت له الماء . فرفض أن يشرب واشتكى بأن
الوسادة عالية عليه ، وبأنه لن يدعها تتركه . وغنت
له عددا من الأغنيات ، وهكذا استمر حتى أعلنت
الساعة الثانية عشرة . وعندما نهضت للذهاب ،
أمسك بثوبها وسألها :

— وغدا ، ياكاتى ، هل ستأتين ؟

وهمست فى اذنه ، ثم غادرنا أخيرا . .

وعندما خرجنا من البيت ، قلت لها :

— لن تذهبنى غدا يا آنسة ؟

فابتسمت كاتى ، واضلعت أنا قائلة :

— سأقوم بإصلاح القفل المكسور فوراً .

فقالَتْ ضاحكة :

يمكننى القفز من السور ، فالزرعة ليست
سجنا ، وعلاوة على ذلك فسأبلغ السابعة عشرة قريبا .
وسيكون شفاء لنتون أسرع اذا اعتنيت به أنا . .

- اسمعى يا آنسة .. اذا حاولت أن تذهبي
الى مرتفعات وذرينج ثانية فساخبر والدك .

وصلنا البيت قبل موعد الغداء ، ولم يطلب
سيدى أى استفسار عن غيابنا ، ربما أعتقد أننا كنا
نتجول فى المنتزة . وعندما دخلت أسرع فى تغيير
حذائى المبتل وكذلك جوربى ، لكننى أصبحت مريضة
فى اليوم التالى ، وظللت فى فراشى لمدة ثلاثة أسابيع ،
لا أستطيع أن أقوم بواجباتى .

وتصرفت آنستى الصغيرة معى كالقديسة ترعانى
وتدخل البهجة على وحدتى . وكان يومها مقسما بين
حجرة والدها وحجرتى وأهملت واجباتها ودراستها
ولعبها .

حقا أن سىدى كان ينام مبكرا وأنا لم أكن
أحتاج لأى شئ بعد الساعة السادسة ، ولا أعرف كيف
كانت تقضى وقتها بعد موعد الشاي .

الفصل الأربعون

زيارات ممنوعة

استطعت أخيرا أن اغادر حجرتي ، واتحرك في المنزل . وأول مرة أجلس فيها في المساء ، طلبت من كاتى أن تقرأ لى ، أن عينيى كانتا ضعيفتين . فقامت بذلك بلا حماس ، وبعد نصف ساعة بدأت تسألنى :
- نيللى ، الست متعبة ؟ اليس من الأفضل أن تستريحى فى فراشك ؟

واجبتها أكثر من مرة :

- لا يا عزيزتى ، اننى لست متعبة .

فبدأت تتشاب ، وتفرك في عينيها وتنظر الى
ساعتها • وأخيرا عادت الى حجرتها •

وفي الليلة التالية بدت أكثر قلقا ، وفي الليلة
الثالثة اشتكت من الصداع ، وتركنتى • شعرت بأن
سلوكها غريب ، وبعد فترة ، صعدت اليها لأطمئن
عليها ، ولكنى لم أعثر عليها ، ولم يشهدا الخدم ، وكل
شيء كان ساكنا فى غرفة السيد اذجار • فعادت الى
غرفتها وأطفأت الشمعة وجلست قرب النافذة •

كان القمر بدرا ، وأخذت أتساءل هل خطر على
بالها أن تتمشى فى الحديقة • ورأيت شبحا زاحفا على
طول السياج الداخلى للمنتزه ، ولكنه ظهر أنه أحد
عمال الاسطبل • ووقف يراقب طريق العربات لفترة ،
ثم اختفى فجأة ، ثم ظهر ثانية وهو يسحب جواد
كاتبى ، وهامى تترجل من عليه وتسير بجواره • ثم
دخلت حجرة الاستقبال من النافذة • وصعدت بهدوء
الى حجرتها • وأغلقت الباب بلطف وخلعت حذاءها
الطويل وفكت قبعتها ، وكانت على وشك أن تخضع

ملايس المروج ، عندما نهضت فجأة ، وأظهرت نفسى ،
فوقفت بلا حراك واعترتها الدهشة ، وقلت لها :

- أين كنت يا عزيزتى فى هذا الوقت المتأخر
من الليل ؟

- مشيت الى آخر المزرعة .

- ألم تذهب الى مكان آخر ؟

فقال فى صوت خفيض :

- لا

فصرخت فى أسف :

- أوه ! .. كاتى ، انت تصرفين أن تصرفك
خطا . أفضل أن اظل ثلاثة أشهر مريضة على أن
أسمعك تكذبين !

فقفزت نحوى وألقت بذراعيها حول عنقى ،
وانفجرت فى البكاء قائلة :

- حسنا ، أخشى أن تفضبنى منى . أعدينى بالآ

تفضيبي ، وسأخبرك بالحقيقة .. اننى أكره اخفاها
عليك .. لقد ذهبت الى مرتفعات وذرينج ، لأفى
بوعدى للنتون . لقد حصلت على المفتاح عند اصلاح
باب المنتزه . وكنت أذهب كل يوم منذ أول مرضك .
ولكننى لم أذهب للتسلية بل كنت تعيسة معظم الوقت ،
لم أسعد ربما الا مرة فى الاسبوع .

وفى زيارتى الثانية كان لنتون يبدو فى حالة
طيبة . ضحكنا وسعدنا بحديثنا لحوالى ساعة ، وتعبت
من الجلوس فاقترحت أن نلعب أى لعبة ، فوافق على
لعب الكرة معى . وكنت أكسب كل مرة ، ثم عاد الى
سعاله ثانية ورقد ، وعندما غنيت له بعض الأغاني
الجميلة استرد روحه المرحه بسهولة . وعدت فى تلك
الليلة راكبة جوادى الى البيت كنسمة هواء .

وفى تلك الليلة ، قابلنى هيرتون ، وأمسك
بجوادى ، فطلبت منه أن يتركه ، فتحرك ونظر الى
أعلى نحو الحروف المحفورة على الحجر فوق الباب الأمامى
وقال بقباء مخلوط بالفخر :

- آتسة كاتى • أستطيع أن أقرأ ذلك الآن •

فقلت :

- مدهش ، دعنى أسمعك اذن !

فراح يتهجى الكلمات ببطء : « هيرتون ايرنشو »

فصحت فيه مشجعة :

- والأرقام ؟

- لا أستطيع قراءتها بعد •

وضحكت وطلبت منه أن يمشى ، حيث أننى
جئت لأرى لنتون ، لا لأراه هو ، فاحمر وجهه ، وذهب
متضايقا • أظن أنه يعتقد أنه متعلم مثل لنتون !

فقاطعتها قائلة :

- تذكرى أن هيرتون قريبك مثل السيد لنتون •
على الأقل هذه علامة على طموحه فى رغبته فى التعلم ،
لقد أخجلته من جهله قبل ذلك ، وحاول هو أن يعالج
ذلك ويرضيك • وإذا تربيت مثله ، فهل كنت

ستصبحين أفضل منه ؟ لقد كان طفلا ذكيا ولماحا مثلما كنت .

— انتظري يا نيل . واسمعي البقية . دخلت ، كان لنتون راقدا على المقعد الخشبي في المطبخ وقال أنه مريض ، وطلب مني أن أقرأ له قليلا ، وقبل أن أبدا ، دخل هيرتون دافعا بالباب وأمسك بذراع لنتون وشده من على المقعد وقال له في صوت حائق :

— اذهب الى غرفتك . وخذها معك ، اذا كانت تأتي لتراك ، ولا تدعني أظل خارج هذا المكان !

وأخذ يسب ، وكاد أن يلقي بلنتون خارجا . وخرج بالفعل وتبعته ، وسقط كتابي فركله ورأى وأغلق الباب وراءنا . وقف لنتون شاحبا مرتعشا . وكانت عيناه تبرقان بالجنون والغضب . وأخذ يهز مقبض الباب موجها تهديداته لهيرتون .

وأمسكت بيديه وحاولت أن أسحبه بعيدا . وأخيرا توقفت صراخه اثر نوبة سعال حادة ، وأخذ الدم يتدفق من فمه ، وسقط على الأرض . فركضت الى الفناء

منادية على زيللا • وفى هذه الأثناء حمل هيرتون لنتون
الى الطابق العلوى ، وأغلق يوسف الباب ، وطلب منى
ثلاثتهم أن أعود الى البيت •

وظهر هيرتون ثانية ، وأنا فى أول الطريق وقال :
- آنسة كانى •• أنا آسف •• !

فضربته بسوطى ، وركضت بجوادى •••
ولم أذهب الى المرتفعات فى المساء التالى • جاءنى
وهم بأن لنتون قد مات •

وفى اليوم الثالث استرددت شجاعتى وذهبت •
فوجدته راقدا على كنبه فى حجرة صغيرة بالطابق
العلوى ، يقرأ أحد كتبى • ولم يلتفت نحوى ولم يحدثنى
بكلمة ، وعندما فتح فمه بدأ يعاتبنى ويضع اللوم على
لا على هيرتون ، لما حدث ! فنهضت وتركت الحجرة ،
وعزمت ألا أزوره ثانية •• لكننى عدت لزيارته بعد
يومين وأخبرته بأنى قد جئت ليس كما يعتقد من أجل
ايدائه ، ولكنى جئت لأودعه ، وعليه أن يخبر والده
بذلك •

فقال لى :

- انك أكثر سعادة منى يا كاتى ، ويجب أن تكونى أفضل منى . فانا أحيانا أكون تافها سى . المزاج ، ثابت الهمة ، لكن تأكدى لو أمكننى أن أكون حلوا كريما وطيبا مثلك لفعلت . . ان كرمك جعلنى أحبك بشكل أعمق مما اذا كنت أستحق حبك ، ورغم أنى لا أستطيع الا أن أبين طبيعتى لك ، الا أننى سأسف على ذلك حتى يوم وفاتى !

وشعرت بأنه يتحدث بصدق ، ويجب أن أغفر له . ومضت ثلاث زيارات ونحن نشعر بالسعادة والأمل . . أما باقى الزيارات فكانت كثيبة تعسة بسبب أنانيته وسوء طبعه ، وبسبب ما يعانىه من الآلام . وتعلمت أن أتحمّلها جميعها . وتجنبتنى السيد هيثكليف عن قصد ، ولم أراه . والآن يا نيللى ، قد سمعت كل شىء ، وأظنك لن تخبرى والدى . اليس كذلك ؟

فكرت كثيرا بهذا الموضوع ، ثم ذهبت الى حجرة

سیدی مباشرة واخبرته بالقصة كلها . . وانزعج السيد
ادجار . وعلمت كاتى بانتهاء زياراتها . وبكت دون
جدوى . وكل ما حصلت عليه كمواساة ، هو وعد بأن
اباها سيكتب ليعطى ابن عمته الاذن ليأتى الى المزرعة
عندما يرغب فى ذلك . وربما لو كان قد أدرك طبيعة
ابن اخته الحقيقية وحالته الصحية ، وهى التفاصيل
التي لم أقصها عليه ، لما سمح له حتى بذلك . . .

الفصل الحادى والأربعون

لقاء فى المستنقعات

كانت كاتى مطيعة لأوامر والدها ، وحبها له مازال
يحتل المركز الأول فى قلبها . وقد تحدث معها بدون
غضب ، بل وبكل حب وحنان لأب على وشك أن يترك
كنزه بين الأخطار والأعداء . وبعد أيام قال لى :

- أود أن يكتب لنا ابن شقيقتى أو يزورنا .
نيللى أخبرينى باخلاص ، ما رأيك فيه ؟ هل تغير
للأحسن ؟ أو هل هناك أمل فى أن يتحسن عندما
يكبر ؟ .

فاجبته :

- انه ضعيف جدا يا سيدى ، ومن الصعب أن يقوم بواجباته كرجل ، ولكن يمكننى أن أقول بأنه ليس كإبيه ، وان تزوجته الآنسة كاتى ، فلن يكون خارج نطاق سيطرتها .

فتنهده ادجار ومشى الى النافذة وأطل فى اتجاه كنيسة جيمرتون ، وقال :

- لقد دعوت ربى كثيرا ، أن يجعل ساعة موتى قريبة حيث أرقد بجوار زوجتى هناك . ولكنى بدأت ، الآن ، أخاف هذه الساعة .. لأنى لا أدرى ما أفعله لكاتى ؟ كيف أتركها هكذا ؟ .. اننى لا أهتم إطلاقا بما اذا كان لتتو ابن هيثكليف يستطيع استعادها ويعوضها عن فقدانها لى . لكنه اذا كان عبدا ضعيفا لإبيه ، فلا أستطيع أن أتركها له !

أقبل الربيع ، واقترب على الانتهاء ولم يكن سيدى قد استرد قوته كما كان ، وعاد مرة أخرى لجولاته القصيرة حول أراضيه برفقة ابنته ، التى اعتقدت لقلة

خبرتها ان استعادته للون بشرته ولمعان عينيه دليل على
استرداده لصحته .

وكتب مرة أخرى لابن شقيقته معبرا عن رغبته
لرؤيته . ولا أشك في أن حالته الصحية كانت لا تسمح
بذلك . لكن لنتون بعث برد يقول فيه بأن السيد
هيثكليف يعترض على زيارته للمزرعة ، لكنه يأمل أن
يقابل خاله أثناء تجواله مع ابنة خاله أيضا .

ورغم أن ادجار كان متعاطفا مع لنتون ، إلا أنه
لم يستطع تحقيق رغبته ، لأنه توقف عن تجواله مع
ابنته ..

وعندما أقبل الصيف ووجد صحته تتسدهور ،
اضطر أخيرا أن يسمح لهما أن يركبا أو يتجولا سويا
مرة كل أسبوع تحت اشرافى . ورغم أنه كان يدخر
جزءا من دخله السنوى حتى تجد كاتى المال الكافى عند
موته إلا أن رغبته الطبيعية كانت في أن تحتفظ كاتى
ببيت العائلة القديم ، واعتبر زواجها من لنتون وريثه
هى الفرصة الوحيدة لذلك .

ولم يدر بخلدء أن ابن أخته كان يتدهور صحيا
مثله تماما . وبدأت أنا نفس اتخيل أن مخاوفي كانت
زائفة ، وأن صحته لابد أن تكون فى تحسن مستمر ،
خصوصا عندما اقترح الركوب والتجول فى منطقة
المستنقعات . . ولم أدرك مدى معاملة أبيه الشريرة له
عندما رأى أن خططه الجهنمية يهددها الموت بالفشل .

كان الصيف قد مضى أكثر من نصفه، عندما بدأت
مع كاتى فى أول لقاء مع ابن عمتها . كان يوما ثقيلا
غائبة شمس ، وكان مكان لقائنا قد تحدد عند ملتقى
طريقين ، ولكننا عندما وصلنا الى هناك جاءنا مزارع
صغير أرسله لنتون ليخبرنا أنه موجود بالصدفة فى
هذا الجانب من المرتفعات وسيكون عظيم الامتنان اذا
ذهبنا اليه .

والتقينا به على بعد ربع ميل من منزله . كان
راقدا على الأرض فى انتظار قدومنا ، ولم ينهض الى
أن وصلنا على بعد خطوات منه . وأقبل نحونا بصعوبة
ونظر الينا بوجه شاحب .

ونظرت كاتى اليه فى حزن مشوب بالدهشة وراحت
تسأله عن صحته ، وان كانت حالته أسوأ من المعتاد ،
فأجابها لاهنا وهو يمسك بيدها وأطرافه ترتجف وكأنه
فى حاجة للمساعدة .

– لا ، أفضل .. أفضل .. !

– لكنك تبدو أسوأ .. انك أنحف ، و ...

فقاطعها بسرعة قائلا :

– اننى أشعر بالتعب . والجو حار على أن نتجول ،
دعينا نستريح هنا . اننى أشعر بالاعياء فى كثير من
الأحيان ويقول أبى أن نموى سريع وقد يكون هذا
هو السبب .

جلست كاتى ووقد هو بجانبها . تحدثت وأنصت
هو . كان واضحا أنه لا يقدر على الحديث . وكان جليا
عجزه عن حسن الاستماع لما تقوله له وعدم مقدرته على
تسليتها بأى شكل لدرجة أنها لم تستطع أن تخفى
خيبة أملها .

لقد تغير كلية في شخصيته وفي تصرفاته ، فلقد أصبح ضعيفا كئيبا ، ولاحظنا شعوره ، وكان هذا اللقاء كان بمثابة عقاب بدلا من أن يكون متعة له ، لذلك لم تتردد كاتى فى أن تقترح علينا الرحيل ، الأمر الذى أثار لنتون بشكل غير متوقع والقى به فى حالة من الخوف . وأخذ ينظر الى المرتفعات بقلق متوسلا أن تبقى معه نصف ساعة أخرى على الأقل ، وقال :

- ارتاحى يا نيللى . وأنت يا كاتى لا تظنى أننى مريض . انه الطقس الثقيل والحرارة لا أكثر . لقد تجولت كثيرا قبل مجيئك . أخبرى خالى أنى فى صحة طيبة ، ممكن ؟

- سأخبره بأنك تقول ذلك !

فقال متجنباً نظرتها المتحيرة :

- ولتأتى ثانية الخميس القادم . . و . . وإذا التقيت بأبى فلا تجعليه يظن أننى كنت صامتا أو غيبا .. ولا تبدين حزينه ، والا سيفضب .

فسالته :

— هل يعاملك والدك بقسوة حاليا ؟

فنظر لنتون الى ، لكنه لم يجب على سؤالى ، وبدأ الارهاق والالام على وجهه ، وما لبث رأسه أن انحنى فوق صدره وبدأ يشن من الارهاق أو ربما من الالام وبدأت كاتى تجمع بعضا من التوت كنوع من التسلية وسالتنى فى صوت خفيض :

— لماذا طلب رؤيتى ؟ يبدو وكأنه واجب يؤديه ومجبر عليه خوفا من تانيب والده له .

فوافق لنتون فجأة من غفوته وقال :

— اصمتا ! .. اننى اسمع صوت والدى ! ..
انه قادم .

وامسك بذراع كاتى ، لكنها تخلصت منه ، واحضرت جوادها وصرخت وهى تمتطيه :

— الى اللقاء . هيا اسرعى يا نبلى !

وعندما وصلنا البيت ، راح ادجار يستفسر عما تم

في المقابلة ، ونحن بدورنا لم نذكر له الا القليل : اذ ان
كاتبى كانت تشك في ابن عمته من حيث مبالفته في
مرضه ، اما انا فكنت في حيرة لما يجب ان اخفيه عنه
وما يجب ان اخبره به .

الفصل الثانى والأربعون

الفخ

ومر أسبوع .. كانت حالة ادجار الصحية تزداد سوءاً يوماً بعد يوم .. كنا نود أن نخفى الحقيقة عن كاتى ، لكن روحها اللماعة أحسست بما يقترب . وعندما جاء يوم الخميس ، لم تتحمل أن تذكر موعد لقائها مع لنتون . لكنى فعلت ذلك .. وطلبت جوادها وأمرتها بالخروج ، حيث أن حجرة والدها المريض كانت كل عالمها ، وكانت تقضى كل لحظة بجانبه . فوجهها كان قد أصبح شاحباً من المراقبة والأسى ، ولقد أرسلها سيدى بكل سرور الى ما كان يظنه مكاناً سعيداً للتغيير ..

كانت لديه فكرة ثابتة ، وهي طالما أن ابن أخته يشبهه في المظهر ، فلا بد أنه يشبهه في التفكير أيضا . وكانت رسائل لنتون التي كتبها ، بلا شك ، بتوجيه من أبيه تبدى بعض ملامح من شخصيته الحقيقية . ولم اصحح له تفكيره ، قائلة لنفسى ما الجدوى فى ازعاج سيدى فى أيامه الأخيرة بمعلومات هو عاجز عن الاستفادة بها .

كانت كاتى مفجوعة القلب حزنا على أبيها عندما خرجنا فى ذلك اليوم لمقابلة لنتون الذى كان بانتظارها فى نفس المكان السابق . كانت فيه حيوية أكثر هذه المرة فى طريقة استقباله لنا ، لكنها لم تكن نابعة عن ابتهاج ، ولا عن فرح ، لكن عن خوف . . فقال بحدة والكلمات تصدر منه بصعوبة :

— لقد تاخرتما ! هل والدك بحالة خطيرة ؟ لقد اعتقدت بأنك لن تأتى .

وقالت كاتى بعد أن تجمدت التحية على شفيتها :

– نعم ، ان والدى مريض جدا • ولماذا لم تحلنى
من موعدى اذا كنت تعتقد باننى لن آتى • • ؟

عند ذلك نظر اليها لنتون بخجل وقال :

– أرجوك يا كاتى ، لا تنظرى الى بكل هذا
الغضب ، فانا جبان حقير ، ولكنى لا أستطيع أن اتحمل
غضبك • اكرهى أبى كما تشائين ، ولكن ، اعفى عني !

فصرخت كاتى بغضب :

– كلام فارغ ! انه يرتعد وكأننى سألمسه ! ابتعد
عني ! اترك ملابسى !

ورمى لنتون بنفسه على الأرض والدموع تنهمر من
عينيه وهو يقول :

– آه يا كاتى ! لم أعد أحتمل ! أن تصرفاتى نحوك
زائفة أيضا • ولا أستطيع أن أبوح لك بشئ الآن !
سيقتلنى هجرك ! حبيبتى ان حياتى بين يديك ! لقد

قلت بأنك أحببتنى ، فلملك توافقين .. وليتنى أموت
وأنا معك !

فتأثرت كاتى وانزعجت تماما ، وانحنت لتنهض
به وهى تسأله :

أوافق على ماذا ؟ .. أن أبقى ؟ قل لى ماذا تعنى
بحديثك ؟ .. اعترف لى بما يشغل قلبك . انك لم تتسبب
فى ايذاءى ، اليس كذلك ؟ انك لم تسمح لأحد أن
يؤذى أعز صديقة لك ؟

فصرخ بصعوبة :

— لكن أبى هددنى ، لا أجرؤ على قول الحقيقة !

— احتفظ بسرّك اذن ، فأنا لست خائفة !

وسمعت خطوات بين الزرع ، ثم رايت هيثكليف
يقترّب منا .. وحاطبىنى بود قائلا :

— انه لحدث أن أراك بالقرب من منزلى ، يا نيللى
.. كيف الحال فى المزرعة ؟

ثم اردف قائلا فى صوت منخفض :

- لقد سمعت ان ادجار يلفظ أنفاسه الأخيرة ،
هل هذا صحيح ؟

- نعم صحيح ، ان سيدى يحتضر .

- ومتى سيكون ذلك ؟

- لا أدرى ..

واستمر فى قوله وهو ينظر الى الصغيرين :

- لأن هذا الغلام يريد هزيمتى . وسأشكر خاله
ان فارق الحياة قبله .

فقلت :

- من الأفضل أن يكون هذا الغلام فى فراشه تحت
اشراف طبيب بدلا من تجواله هنا .

فصرخ فيه :

- انهض يا لنتون ! ولا تتسلوى على الأرض ..
انهض !

غاص لنتون ثانية فى خوف عاجز ، عندما نظر اليه
أبوه . . وحاول عدة مرات أن يطيعه ، فكانت قسواء
تخونه . وقال لاهثا :

- سأنهض يا أبى ، لكن دعنى . . لقد قمت بما
ترغبه منى . آه يا كاتى . . كونى . . كونى بجانبى ،
واعطينى يدك !

فقال والده :

- خذ يدى ، وقف على قدميك . قد تتخيلين
يا آنسة كاتى أنى أعامله بقسوة ، لآثير هذا الخوف
فيه . . أرجوك أن ترافقيه الى البيت . . انه يرتعد اذا
لمسته .

لا أستطيع أن أذهب الى مرتفعات وذرينج . ان
والدى منعنى . . لنتون يا عزيزى ، ان والدك لن
يؤذيك . لماذا أنت خائف هكذا ؟

فقال هيثكليف :

- قم اذن ، يجب أن نحترم تمسك كاتى بطاعتها
لابيها . . كن شجاعا وهيا بنا الى البيت . .

وتقدم هيثكليف ليمسك بالفلام ، ولكن لنتون
تراجع وتمسك بكاتي وتوصل اليها بشكل يائس أن
تذهب معه . ولم ندرك كنه خوفه .

ووصلنا الى البيت ، فدخلت كاتي ووقفت أنتظر
حتى تساعد الفلام المريض وتجلسه على كرسي ، متوقعة
أن تخرج ثانية في الحال ، لكن هيثكليف دفعني لأدخل ،
وأغلق الباب من خلفي .

الفصل الثالث والأربعون

فى الحبس

قال هيثكليف :

— انى وحدى ، وفى حاجة الى رفقتكم ، وسوف
نشرب الشاى سويا • لقد ذهب هيرتون مع البهائم
الى الحقول ، وزيللا ويوسف فى اجازة ترويحوية ••
يا آنسة كاتى ، هل تقبلين ما املك ، رغم أن الهدية
لا تستحق قبورك • انه لنتون ، خذى كرسيها واجلسى
الى جانبه •

تقدمت كاتى من هيثكليف وعيناها تومضان ،
وقالت له :

- أنا لا أخافك .. اعطيني هذا المفتاح .. اننى
لن أكل ولن أشرب فى بيتك حتى لو مت جوعا !
نظر هيثكليف اليها من الدهشة من جراتها ، او
ربما ذكره صوته وتعبيرها بالشخص الذى ورثت منه
ذلك . وكادت أن تنجح فى الاستيلاء على المفتاح من بين
أصابعه لولا تشبثه به .. وقال عندئذ :

- كاترين لنتون ، ارجعى عن ذلك والا سأطرحك
أرضا !

ولم تكثرث كاتى لتحذيره وأمسكت بيده المفلقة
المضمومة على المفتاح .. ولما وجدت أن أطافرها لم
تسعفها استخدمت أستانها بحدة . فرمانى هيثكليف
بنظرة منعتنى عن التدخل للحظة ، ثم فتح أصابعه
فجأة وأمسك بها ولطمها عدة لطمات على خديها .

فاندفعت نحوه فى هياج وأنا أقول :

- انك شيطان !

ودفعة منه فى صدرى أسكتتنى ، فانا سبمينة
واخذت الهت ، فى الحال ، وفقدت التوازن من الضربة

ومن هياجى ، وسقطت على الأرض وأنا أحس بأن رثتى
ستنفجران • وانتهى المنظر فى دقيقتين • وتحمرت
كاتى ووضعت يديها على رأسها • وراحت المسكينة
ترتعش ، فاستندت على المائدة وهى فى حالة ارتباك
تام • وقال الرجل عديم القلب :

– انى أعرف كيف أعاقب الأطفال ، كما ترين •
اذعبنى الى لنتون الآن • كما قلت لك وابكى على راحتك
•• سوف أصبح والدك فى الغد – والوالد الأوحى بعد
أيام قليلة •• وستنالين الكثير من ذلك •• يمكنك
تحمل الكثير !

ركضت كاتى الى بدلا من لنتون ، وركعت واضعة
خدها الملتهب على ركبتى باكية بصوت عال • وانسحب
ابن عمته فى الركن فى هدوء الفار ، بل يمكننى القول
بأنه فرح لأن العقاب لم ينزل عليه • ونهض هيثكليف
وأعد الشاى ، وصبه وتناولنى فنجانا ، وقال :

– أزيل غضبك ، وسأعدي دميتهك ودميتى
الشقية • وسأذهب لأبحث عن جياكما •

وكان أول تفكير لنا عند مفادرتة هو كيف نهرب •
كان باب المطبخ مغلقا بإحكام ، أما النوافذ فكانت ضيقة
جدا حتى على جسم كاتى الصغير •

وصرخت عندما أدركت أننا مسجونتان :

- يا سيد لنتون • انك تعرف ما ينوى عليه
والدك الشرير ، وعليك أن تخبرنا بكل شيء •

وقالت كاتى :

- أجل يا لنتون • لقد حضرت الى هنا من أجلك !

فاجاب :

- اعطينى فنجانا من الشاي ، اننى أشعر
بالمعش • سأخبرك بكل شيء • • • نيللى ! اذهبي بعيدا
عنى • لا أحبك أن تقف أمامى هكذا ! وانت يا كاتى
أن دموعك تتساقط فى فنجانى ! اننى لن أشربه •
اعطينى فنجانا آخر •

دفعت كاتى بفنجان آخر له ، ومسحت دموعها .
وأحسست بالاشمزاز من هدوء الغلام البائس الذى
لم يعد فى حالة الرعب التى كان فيها . وبعد احتسائه
قليلا من الشاى قال :

— ان والدى يرغب فى زواجنا .. ويخشى موتى
إذا انتظرنا ، لذلك فعلينا أن نتزوج فى الصباح ،
وعليك أن تبقى هنا الليلة .

فقلت :

— تتزوجا ؟ ولماذا تعتقد أن فتاة جميلة مثلها توافق
على الزواج من قرد مثلك ؟ .

فنظرت كاتى حولها ببطء ثم قالت :

— نبقى هنا طول الليل ، نيللى ، سوف أحرق
الباب ، وأهرب !

فانزعج لنتون ثانية خوفا على نفسه وقال لكاتى :

— ألا تتزوجينى وتنقذينى ؟ آه يا كاتى الحبيبة ..

لا تذهبي وتتركيني ! ارضخي لرغبة والدي .
أرجوك !

وهنا عاد هيثكليف ، وقال :

— لقد سرح جوادا كما في الحقول .. وأنت يالنتون
اذهب الى غرفتك . ان زيللا لن تأتي الليلة ، عليك
أن تغير ملابسك بنفسك .

وفتح الباب ، فاندفع ابنه خارجا مثل جرو مذعور ،
ثم أغلق الباب بإحكام .. واقترب هيثكليف من المدفأة
حيث كنا واقفين في صمت . ونظرت كاتي اليه ورفعت
يدها الى خدها ، فراح هيثكليف ينظر اليها بشراسة
وقال :

— آه .. انك لا تخافين مني ؟

— بالعكس .. انني خائفة الآن . لأنني اذا بقيت
فسيحزن أبي حزنا قد يقضى عليه ، دعني اذهب ،
وأعدك بأنني سأتزوج لنتون ، فوالدي يرغب في ذلك ،
وأنا أحبه ، فلماذا ترغميني على شيء أرغب القيام به
بمحض ارادتي .

فصرخت :

- دعيه يرغمك ، ولكن هناك قانون فى البلاد
والحمد لله ، رغم أننا نعيش فى منطقة نائية .

فقال الرجل الشرير :

- اسكتى ! لا أريد أن أسمع منك أى كلام ! وأنت
يا كاتى ، انه ليمتعنى جدا أن أرى والدك حزيناً . أما
بخصوص وعدك بالزواج من لنتون ، فلن تفادى هذا
المكان حتى يمكن ذلك .

فقالت له كاتى وهى تبكى :

- اذن ، دع نيللى تذهب ، لتطمئن والدى عني ،
وتخبره اننى فى امان . نيللى ، انه سيعتقد باننا
ضللنا الطريق . ماذا سنفعل ؟

فاجاب هيثكليف :

- كلا ! بل سيعتقد بانك تعبت من خدمته وهربت
لتروحي عن نفسك قليلا . يجب أن تعترفى بانك دخلت

بيتى بمحض ارادتك متقاضية عن رغبات والدك • ابكى
فبكائك لا يهمنى !

ورماها هيثكليف بنظرة ازدراء • وكنت سأخبره
برأى فى سلوكه ، ولكن أخرسنى تهديده بأن يحبسنى
بمفردى اذا تفوهت بكلمة واحدة •

خيم الظلام ، وسمعنا أصواتا عند البوابة ،
فأسرع مضيفنا خارجا فى الحال • كان سريع الفهم
والتصرف ، كنا عكسه تماما • استمر الحديث على
البوابة لدقائق عاد بعدها بمفرده •

فقلت لكاتى :

- أعتقد أنه هيرتون •• من يدري عله يساعدك •

وقال هيثكليف :

- ثلاثة من خدم مزرعتكم قد حضروا للبحث
عنكم • كان يجب أن تفتحوا النافذة وتستجدان بهم •
وعندما علمنا بهذه الفرصة التى فقدناها لم نستطع

التحكم فى حزننا • وتركنا نبكى حتى الساعة التاسعة،
عندما امرنا أن نصعد لننام فى غرفة زيللا •

ولم يغمض لنا جفن ، اذ جلست كاتى بجانب
النافذة الضيقة تراقب الصباح • وجلست أنا أؤنب
نفسى على فشلى فى واجبى •

وفى الساعة صباحا نادى هيثكليف على كاتى ،
وقمت لأتبعها ، لكنه أغلق على الباب بالمفتاح قائلا :

– اصبرى ، سأرسل لك الافطار •

وتركنى اصرخ دون جدوى • وبعد ثلاث ساعات
تقريبا سمعت صوت خطوات • ودخل هيرتون حاملا
طعاما يكفينى طول اليوم • فقلت له :

– انتظر دقيقة واحدة !

فقال وهو يفادر الغرفة :

– كلا •

وظللت مسجونة هناك أربعة ايام وخمس ليل
لم أر خلالها أحدا سوى هيرتون مرة كل صباح لاحضار
الطعام ، وكان لا يستجيب لأية محاولة منى لاستدرا
عطفه ..

الفصل الرابع والأربعون

السيد جرين يتأخر

وفى صباح اليوم الخامس ، أو ربما بعد الظهر ،
اقتربت خطوات مختلفة .. ودخلت زيللا الغرفة
وصرخت قائلة :

— آه يا عزيزتى مسز دين .. ان الناس فى
جيمرتون يقولون أنك غرقت فى أحد المستنقعات مع
الآنسة كاتى ، لكن سيدى هيثكليف أخبرنى بأنه تم
العثور عليك وجعلك تقيمين هنا . وكم بقيت فى الماء ؟
.. أرجو أن تكون حالتك قد تحسنت .. هل أنقذك
سيدى يا مسز دين ؟!

— ان سيدك لوغد لثيم !

— ماذا تعنين ؟ .. انها ليست قصة . انها
ما يقوله أهل القرية . وعندما سمع بها سيدى ابتسم
وقال ان مياه المستنقع قد دخلت فى رأسك وجعلتك
تقومين بتصرفات غريبة .. ولذلك احتجزك فى أمان
حتى تشفين . وأخبرنى بأن أطلق سراحك ، وأخبرك
بأن تذهبي الى المزرعة فى الحال وتحمل رسالة منه بأن
السيدة الصغيرة سوف تتبعك فى الوقت المناسب
لحضور جنازة سيدك .

فصرخت :

— هل مات السيد ادم ؟ زيللا ! تكلمى !

— كلا .. كلا .. اجلسى .. استريحى لحظة ..
لازلت تحسين بالاعياء من جراء مياه المستنقع ، مسكينة !
انه لم يمت . والطبيب يقول انه سيعيش يوما آخر .
لقد قابلته فى الطريق ، وسألته بنفسى .

جمعت حاجياتى وأسهرت بالهبوط ، ولم أجد من
يخبرنى عن مكان كاتى . كانت الشمس تغمر المكان
وكان الباب مفتوحا على مصراعيه . وترددت فى الخروج ،

عندما سمعت سعالاً خفيفاً ، فالتفت لأرى لنتون راقداً
على مقعده يمتص مصاصة من الحلوى ، فسألته :

— أين الآنسة كاتى ؟

فاستمر فى المص كالطفل الرضيع . فسألته

لثانية :

— هل ذهبت ؟

— لا ، انها فى الطابق العلوى ، ولن نسمح لها

بالذهاب !

فقلت :

— لن نسمح لها ! أرشدنى الى حجرتها فوراً !

فاجاب :

— طلب منى أبى أن لا أكون لطيفاً معها . اذ أنها
أصبحت زوجتى ، ومن العار أن تتركنى .. انه يقول
بانها تريدنى أن أموت لتحصل على كل المال ، لكنها
لن تحصل عليه ، ولن تذهب الى بيتها .. مهما بكت ..

وعاد الى مصاصته مرة أخرى وأغلق عينيه .

- هل نسيت محبتها وما قامت به نحوك في الشتاء الماضي ، عندما أعلنت حبك لها ، وأخذت تحضر لك الكتب وتغنى لك وتأتى لزيارتك أثناء مرضك رغم الطقس السيء ؟ .. والآن تصدق ما يقوله والدك ، وتنضم اليه ضدها ؟

فانتزع الحلوى من بين شفثيه وقال بشكل منفر :

- لا أستطيع الجلوس معها ، ليس بوسمى أن أحتمل صراخها وبكاءها فهى تئن طوال الليل ، ولا أستطيع النوم ! .

- هل السيد هيثكليف فى الخارج ؟

- انه فى الغناء ، يتحدث مع الطبيب الذى يقول بأن خالى يحتضر . اننى سعيد بهذا النبأ ، لأننى سأكون سيد المزرعة من بعده .. وكأتى تتحدث عنها دائما على أنها بيتها ! انها ملكى : أبى يقول بأن كل ما لديها ، فهو ملكى . لقد عرضت على كل كتبها الحلوة،

وطيورها الجميلة ، وجوادها ، اذا حصلت على مفتاح
حجرتنا وتركناها تخرج ، ولكننى قلت لها بانها لا تملك
شيئا لتمطيه لى ، فكل ما تعرضه على أصبح ملكى ..
عندئذ أخذت تصرخ وأخذت صورة صغيرة من رقبتها ،
بل صورتين فى علبة ذهبية : أمها على جانب وخالها على
الجانب الآخر ، عندما كانا صغيرين . فقلت لها انهما
ملكى أيضا ، وحاولت أن أحصل عليهما منها . ولكن
السخيفة لكزتنى بشدة ، وعندما سمعت قدوم أبى
خافت وقسمت العلبة قسمين وأعطتنى صورة والدتها
وحاولت أن تخفى الأخرى ، ولكن أبى أخذ الصورة
منى ، وسحق الأخرى تحت قدمه ، وضرب كاتى حتى
طرحها أرضا .

— وهل سررت ؟

— لم أنظر .. انى أغلق عيني كلما يضرب أبى
أى شئ .. وأقد ضربها بشدة . لكنها تستحق العقاب
لأنها لكزتنى . وعندما ذهب أبى لاحظت جرحا فى
خدها ، وقامت بجمع حطام الصورة ، ولم تتحدث معى
منذ ذلك الحين . ربما لا تستطيع الكلام بسبب الألم .

- هل باستطاعتك الحصول على المفتاح ؟

- نعم ، عندما أكون فى الطابق العلوى ، أما الآن
فلا أستطيع الصعود .

- فى أى غرفة هى ؟

- آه ، لن أخبرك ! فهذا سر من أسرارنا .

وأدار وجهه ، وأغلق عينيه ثانية . ففكرت بأنه
من الأفضل أن أغادر بسرعة دون أن أرى هيثكليف ،
وأحضر نجدة من المزرعة لسيدتى الصغيرة . وعند
وصولى الى البيت اندهش الخدم لرؤيتى وفرحوا لسماعهم
بنجاة كاتى . وتوجهت الى غرفة ادجار لنتون . وكم
وجدته متغيرا ، وكان يفكر فى كاتى ويتمتم باسمها .
فهمست له :

- ان كاتى بصحة جيدة ومستأنى الى هنا ربما
الليلة .

فقام من فراشه جالسا ، ونظر بلهفة حوله ثم
رقد ثانية فاقد الوعي .

وعندما استرد وعيه أخبرته بحبسنا وسببه ،
ولم أشوه صورة لنتون قدر استطاعتي كما أنى لم
أصف له كل تصرفات أبيه القاسية .

فشعر بأن من أحد أهداف عدوه الحصول على
ماله ، وكذلك أرضه وبيته لابنه أو بالأحرى لنفسه . .
ومع ذلك فلم يستطع سيدى أن يفهم لماذا لم ينتظر
موته ، وليست لديه فكرة عن حقيقة مرض ابن أخته .
ولكنه شعر بأنه من الأفضل أن يعدل وصيته . فبدلاً
من ترك مال كاتى بين يديها ، عزم على أن ياتمن بعض
الأشخاص الشرفاء عليه ، لاستخدامها أثناء حياتها
ولأولادها ، إذا أنجبت ، بعد وفاتها . وبذلك لن يؤول
المال الى هيشكليف ، اذا مات لنتون .

وأرسلت فى استدعاء المحامى ، كما أرسلت أربعة
رجال مسلحين الى المرتفعات للعمل على إعادة كاتى .
وبعد وقت طويل عاد الأول ليقول أن السيد جرین غادر
بيته ، حيث لديه بعض الأشغال فى القرية ولكنه سيأتى
للمزرعة قبل الصباح . وعاد الرجال الأربعة بدون

سيدتى ، قائلين أنها مريضة وليس بإمكانها مقادرة
غرفتها .. فقامت بتوبيخ هؤلاء الأغبياء لتصديقهم مثل
هذه القصة ، وقررت أن أذهب بنفسى فى وضع النهار
مع مجموعة من الرجال لاحتضارها .

ولحسن الحظ لم أقم بهذه الرحلة . ففى الساعة
الثالثة صباحا ، سمعت طرقات على الباب ، فاعتقدت
أنه المخامى وهبطت لأفتح له . فاذا بكاتى حبيبتى الحلوة
ترتمى على وتعانقنى وهى تبكى قائلة :

— نيللى ! نيللى ! هل والدى بخير ؟

ولم أتجمل أن أحضر لقاءهما ، ودخلت عليهما
بعد ربع ساعة فرأيتهما فى صمت يائس . لقد مات
وهو يقبلها على خدها . وظلت كاتى بجانب فراش
الموت ، الى أن أجبرتها على أن تتركه ، لتأخذ قسطا من
الراحة ، ثم ظهر المخامى متأخرا عن مواعده . لقد
مر على مرتفعات وذرينج وباع نفسه لهيشكليف ، وكان
هذا هو سبب تأخره .. !!

وأخذ يأمر وينهى جميع من فى البيت • وقام
بطرده جميع الخدم والعاملين فيما عداى وأسرع بتشجيع
الجنائز •• وسمح لكاتى ، زوجة لنتون هينكليف حاليا
أن تبقى بالمزرعة حتى يرقد والدها فى مشواه الأخير
بجوار والدتها عند مشارف منطقة المستنقعات ••

الفصل الخامس والأربعون

لقد أقلقتنى بدون شفقة

وفى مساء اليوم التالى للجنائز جلسيت مع
سيدتى الصغيرة فى المكتبة ، وراحت تحدثنى عن طريقة
هربها من المرتفعات بعد أن حرضت لنتون لمساعدتها .
واتفقنا على أن أفضل ما يمكن أن يحدث لها ، هو أن
نوفق فى أن تعيش فى المزرعة ، على الأقل خلال مدة
حياته ، ويأتى هو ليلتحق بها هنا ، وأطل أنا كمديرة
المنزل ، عندئذ اندفعت إحدى الخدم التى لم تغادر مع
المطرودين بعد وقالت أن هيثكليف قادم عبر الفناء .

ودخل دون استئذان ، فهو السيد ، وسار دون

أن يتفوه بكلمة . كانت نفس الغرفة التي جاء إليها ؛
كضيف . من قبل ثمانية عشرة عاما . لقد غير الزمن
من مظهره قليلا . كان هو نفسه ، الا أنه يتحكم أكثر
فى تعبيرات وجهه الأسمر . وأصبح أكثر وزنا ..
نهضت كاتى . وفكرت فى الهرب عندما رآته .

فقال وهو يمسك بذراعها :

— قفى . لا فرار بعد الآن ! .. لقد جئت لمرافقتك
الى البيت ، وآمل أن تكونى ابنة مطيعة ، ولا تشجعى
ابنى على مزيد من العصيان . فلقد عانى من ذلك
كثيرا .

فقلت له متوسلة :

— لماذا لا تدع كاتى ، لتعيش مع السيد لنتون
هنا ؟

— انى سأعرض هذه المزرعة للإيجار ، كما انى
أريد أولادى معى .. بالاضافة الى أن هذه الفتاة مدينة

لى بخدماتها مقابل الماكل والمأوى • ولن اتركها تعيش
حياة الكسل والدعة • أسرع واستعدى •

- سأفعل • فلنتون هو كل ما لدى لأحبه فى
الدنيا • ورغم أنك قمت بما تقدر عليه لتجعلنا نكره
بعضنا ، الا أنك لم تنجح !

- لست أنا الذى سأجعله بفيضا لديك • بل
هو نفسه • انه يشعر بالمرارة ازاء ذهابك عنه ، لقد
سمنعته يرسم صورة جميلة لما قد يقوم به لو كانت
صحته أفضل •

- أعرف أن له طبيعة سيئة ، فهو ابنك • أما
طبيعتى فهى أفضل لأنها تسامح • وأعرف أنه يحبني
ولذلك السبب أحبه • ولكنك يا سيد هيثكليف ليس
لديك من يحبك • انك بائس ، أليس كذلك ؟

فقال جموها :

- ستندمين بعد قليل اذا وقفت هنا أكثر من
ذلك • اذهبي واحضري حاجياتك • • !

فذهبت وكلها ازدراء ، وفي غيابها ، رجوت من
هيثكليف أن أحل محل زيللا بالمرتفعات ، لكنه لم
يوافق وطلب منى الصمت ، ثم راح يقلب نظره ، لأول
مرة ، في الغرفة وفي الصور ، وبعد أن تفحص الصورة
الزيتية الرائعة لزوجته ادجار قال :

— سأخذ هذه الى البيت ، لا لأننى احتاجها ،
ولكن ...

ثم التفت بسرعة الى المدفأة وبابتسامة غريبة
واستمر قائلا :

— سأخبرك بما فعلته بالأمس ! لقد طلبت من
الرجل الذى حفر مقبرة ادجار لنتون أن يزيح
التراب عن غطاء تابوتها ، وفتحته . ورأيت وجهها
ولكن حفار القبور قال انه سيتغير اذا هب عليه الهواء ،
وتحركت من مكانى بعد جهد كبير ، ولكنى هشمت أحد
جوانب التابوت وغطيته . . . وأجزلت العطاء لحفار القبور

ليسحب تابوتها بعيدا عن تابوت زوجها عليه اللعنة ..
وطلبت من الرجل أن يضع تابوتي أنا - بعد أن أموت -
الى جوارها ..

فصرخت فيه قائلة :

- انك فظيع جدا يا سيد هيثكليف . ألم تخجل
من اطلاق الموتى ؟

- اننى لم أقلق أحدا ، وأرحت نفسى قليلا .
أقلقتها ؟ .. لا ! لقد أقلقتنى ليل نهار مدة ثمانية عشر
عاما .. بدون توقف .. بدون شفقة .. حتى الليلة
الماضية .. ففى الليلة الماضية كنت فى سلام . حلمت
بأنى نائم النومه الأخيرة وقلبى توقف مع قلبها وخدى
تجمد على خدها !

واستمر قائلا :

- لقد بدأ هذا الشعور الغريب بطريقة فريدة .

انت تعلمين اننى كنت هائجا بعد موتها ، واخذت ادعو دائما يوما وراء يوم أن تعود الى .. روحها .. اننى اؤمن تماما بالأرواح ، وعلى يقين أكيد بأن الأرواح قادرة على الحضور ، بل هى موجودة بالفعل بيننا ! .. وفى يوم وفاتها ، هطلت الثلوج .. وفى المساء ذهبت الى فناء الكنيسة حيث المقابر ، وكان البرد لامعا ، وقلت لنفسى :

— سأضعها بين ذراعى ثانية ! اخذت معولا وبدأت الحفر .. وصلت الى التابوت .. وكنت على وشك فتحه ، عندما بدا لى اننى سمعت تنهيدة من فوق التابوت ، فاقتربت من المقبرة وانحنيت ، وجال فى خاطرى ، « لو أمكننى رفع التابوت ، أود لو غطونا سويا وأهالوا علينا التراب » .. وكانت هناك تنهيدة أخرى بالقرب من أذنى ، وشعرت بأنفاسها الدافئة .. كنت واثقا من عدم وجود أحياء من لحم ودم بالقرب منى ، ولكنى شعرت بكل تأكيد أن كاتى كانت هناك .. ليست تحت التراب بل فوقه .. عندئذ غمرنى

احساس بارتياح مفاجيء . افعم قلبي وكل جزء من كياني
.. فكانت راحتي لا توصف .. وكانت حاضرة معي وأنا
اهيل التراب ثانية على القبر ، بل وقادتني الى البيت .
قد تضحكين .. لكني كنت على يقين ، أن في استطاعتي
أن أراها هناك ! .. كان الباب مغلقا .. إذ كان
هندلي الاحمق وزوجتي يعتقدان بأنني دخلت . أذكر
أنني وقفت لأركله ثم أسرعتم الى الطابق العلوي ..
ونظرت حول نافذ الصبر .. فشعرت بها بجانبى ..
كدت أستطيع رؤيتها تقريبا ولكني لم أستطع ! ..
ومنذ ذلك الحين وأنا أقاسى من هذا العذاب المرير !
وإذا جلست في البيت كان يبدو لي لو خرجت لمقابلتها
لقابلتها .. لا بد أنها في مكان ما بالمرتفعات .. كنت
على يقين ! وعندما نمت في غرفتها ، لحظة ما أغمضت
عيني كانت اما تقف خارج النافذة أو تدخل الغرفة
أو حتى تسند رأسها العالي على نفس الوسادة ، كما
كانت تفعل وهي طفلة . واعتدت أن أفتح عيني مئات
المرات كل ليلة ليخيب ظني دائما ! ومنذ أن رأيتهــا
وأنا في سلام .. نوعا ما .. أنها طريقة غريبة للقتل

ببطء ، مع شبح الأمل ، عبر ثمانية عشرة عاما !

توقف هيثكليف عن حديثه ومسح جبهته وكانت عيناه مثبتتين على المدفأة لم يكن قاطب الجبين كالمعتاد ، فخفف ذلك من قسوة تعبيراته وصبح عليه بنظرة قلقة غريبة . كان وكأنه يخاطبني ، بينما لذت أنا بالصمت التام . وبعد فترة وجيزة ، نظر الى الصورة مرة أخرى ، وانزلها وأسندها على الأريكة .

ودخلت كاتي اثناء ذلك ، وأعلنت استعدادها لمرافقته ، وطلبت تجهيز جوادها .

فقال هيثكليف لي :

— ارسل الصورة غدا !

ثم استدار نحوها وأضاف قائلا :

— لا داعي لجوادك . فقدماك مستحبلانك ، هيا !

فهمست سيدتى الصغيرة الغالية :
- وداعا يا نبيل ٠٠ تعالى لترينى !
فقال أبوها الجديد :
- احذرى القيام بذلك !
وتأبط ذراع كاتى ، وانصرفا مسرعين .

الفصل السادس والأربعون

معتزة بنفسها كالأميرة

كانت الآنسة كاتى قد تزوجت فى الصيف الماضى فقط . وقمت بزيارة المرتفعات عدة مرات . ولكنى لم أرها منذ أن ذهبت الى هناك . لم يكن يسمح لى يوسف بالدخول ، قائلا بأنها ليست على مايرام وأن السيد غير موجود . وأخبرتنى زيللا بالطريقة التى يعيشون بها ، وهى تعتقد أن كاتى متكبرة ، لذلك لم تسترح اليها .
وقالت :

— أول شىء عملته عند وصولها أن ركضت الى الطابق العلوى بدون حتى القاء تحية المساء لى أنا ويوسف . وأغلقت الباب وراءها وبقيت حتى الصباح .

ثم دخلت أثناء تناول هيثكليف طعام الافطار مع هيرتون
وطلبت استدعاء الطبيب حيث أن ابن عمته مريض
جدا ، فاجابها هيثكليف :

— نحن نعلم ذلك ، ولا أحد هنا يعبأ بما يحدث
له . أما اذا كنت تعباين فلتقومى بدور الممرضة ، والا
فاغلقى عليه الباب واتركيه .

ثم جاءت لى فقلت لها لقد أخذت نصيبي مع هذا
الغلام ، ولدى أعمال كثيرة أقوم بها ، أما هى فعليها أن
تقوم بخدمته . ولا أدري كيف سارت الأمور ، لكنه كان
يشن ليل نهار وهى لم تنل الا القليل من الراحة مع
شحوب وجهها وثقل عينيها . وكانت تأتى الى المطبخ
أحيانا وكأنها تتوسل المساعدة ، ولكنى لم أستطع
مطلقا أن أعصى أوامر السيد ، يا نيللى ، وهذا ليس من
شأنى . . كنت أشفق عليها بالتاكيد ، ولكننى لم أكن
أريد أن أفقد وظيفتى ! وأخيرا ، ذات ليلة ، حضرت
بجسارة ودخلت حجرتى وهى تقول :

- أخبرني السيد هيثكليف بأن ابنه يحتضر ..
انهض في الحال وأخبريه .

وتركتني ، ولم أستجب لطلبها ، وقلت لنفسي
« لا بد أنها مخطئة » ورقدت ، ولكنني استيقظت بعد
قليل عندما سمعت صوت الجرس يقرع من غرفة لنتون.
وأمرني هيثكليف أن أستطلع عن السبب ، فأبلفته
رسالة كاتي .

وبعد دقائق قليلة أتى بشمعة مشتعلة وتوجه الى
غرفتهما .. كانت كاتي تجلس بجوار الفراش ، واقترب
حموها بالشمعة المشتعلة من وجه لنتون ، ولمسه ..
كان قد فارق الحياة ، ثم استدأر نحو كاتي وقال :

- والآن ، كيف تشعرين ؟

- أنه في أمان ، وأنا حرة ، ولكنك تركتني
أصارع طويلا مع الموت بمفردي ، حتى اني أصبحت
لا أشعر ولا أرى الا الموت فقط .

وقدعت لها قليلا من النبيذ ، واستيقظ هيرتون

ويوسف بسبب الضجة ودخلا . . كان يوسف فرحا
لرحيل الغلام ، على ما أظن ، وانزعج هيرتون بعض
الشيء ، رغم أنه كان مشغولا بالحملقة في كاتى .

وفى الصباح قالت بأنها مريضة وبقيت فى الطابق
العلوى لمدة أسبوعين .

كانت زيللا تزورها مرتين فى اليوم . وكانت
تود أن تتودد لها أكثر لكن كاتى كانت ترفض عطفها
المتزايد بكبرياء .

وزارها هيثكليف ليطلعها على وصية لنتون .
لقد كتب جميع ممتلكاته وكذلك ما تملكه هى لأبيه .
لقد تم تحرير الغلام أو تهديده للقيام بهذا العمل
أثناء غيابها عند وفاة خاله . ولم يستطع أن يتدخل فى
الأرض ، لكونه تحت السن القانونى ، واحتفظ هيثكليف
بها فى حيازة الزوجة وحيازته هو أيضا . واعتقد طبقا
للقانون ، وعلى كل فكأنى ليس لها أصدقاء ولا مال ،
فلا تستطيع أن تزوجه فى ممتلكاته .

واستمرت ذيللا قائلة :

— ولم يقترب احد من بابها سوى . واول مرة
نزلت فيها كانت بعد ظهر يوم من ايام الاحاد ، حيث
قالت انها لم تعد تحتمل البرد فى الطابق العلوى .
وكان هيثكليف قد ذهب الى مزرعة تراش كروس وكان
يوسف فى الكنيسة ، واخبرت هيرتون أن كاتى ابنة
عمته تريد أن تجلس معنا . فاحمر وجهه ، وألقى
ببصره على يديه وملابسه ورايته يريد أن يبدو محترما ،
فضحكت وعرضت أن أساعده فى ترتيب مظهره ، وقبل
فى النهاية .

ودخلت كاتى ، باردة كالثلج ، تسير معتزة
كالأميرة . ونهضت وقدمت لها مكانى على الكرسى الوثير
ذى المساند . كلا ، اذ أشاحت بوجهها ازاء أدبى .
ونفض هيرتون أيضا وطلب منها أن تأتى وتجلس
بالقرب من المدفأة . فأحضرت كرسيها لنفسها ووضعت
على مسافة من كلينا .

وجلست الى أن سرى الدفء فى أوصالها ، فبدأت

تنظر حولها ، فوجدت عددا من الكتب فوق أحد الرفوف العالية ، وعندما لاحظ هيرتون عدم قدرتها على الوصول إلى أحدها ، استجمع شجاعته أخيرا ليقدم مساعدته •

لم تشكره ولكنها قبلت مساعدته ، وكان جسورا بما فيه الكفاية ليقف خلفها أثناء تفحصها للكتاب ، بل وأخذ يشير لها لما يحبه في بعض الصور القديمة • ولم يتأثر من طريقتها الجافة التي انتزعت بها الصفحة من بين أصابعه • ورضى مكتفيا بأن ينظر إليها بدلا من الكتاب • وبالتدريج تركز انتباهه على دراسة شعرها الحريري الكثيف • لم يكن يرى وجهها ولا هي أيضا ، وكطفل صغير انتقل من الحملقة إلى اللمس • فوضع يده على صغيرة من شعرها ومر بها برقة ، وكأنها طائر من الطيور التي اعتاد أن يذبحها بالسكين • فاستدارت نحوه في غضب قائلة :

— اذهب من هنا حالا ! كيف تجرؤ على لمسي !
أنا لا أحملك !

ابتعد هيرتون وهو يبدو كالفبي • وجلس في

هدهد . أما هي فواصلت التقليل في الكتب . وأخيرا
جاء نحوى وهمس قائلا :

— قولى لها أن تقرأ لنا شيئا يا زيللا . . فانا احب
سماع صوتها .

فقلت لها على الفور :

— ان السيد هيرتون يرغب الاستماع لقراءتك ،
وسيكون ممتنا لك !

فنظرت غاضبة وقالت :

— ليكن مفهوما لكم جميعا اننى ارفض اى مظهر من
مظاهر العطف ! فعندما كنت مستعدة لأضحى بحياتى
مقابل كلمة عطف واحدة منكم ، كنتم تتجنبونى . لقد
اضطرت للنزول الى هنا بسبب البرد ، لا لكى امتعكم
او استمتع برفقتكم !

فقال هيرتون :

— لكنى عرضت أكثر من مرة وطلبت . . وطلبت

من السيد هيثكليف أن يسمح لي بمساعدتك في خدمة
لنتون عندما كان مريضا ...

فقال سيدتي :

- اسكت ! سأخرج من الغرفة حتى لا أسمع
صوتك البغيض .

واستمر الطقس باردا ، واضطرت لذلك أن
ترافقنا أكثر وأكثر . ولكن منذ ذلك الحين أصبحت
لا أتودد اليها .

وعند سماعي الى هذا السرد من زيللا ، قررت أن
أترك وظيفتي وأخذ بيتا صغيرا وأدعو كاتي للعيش
معي ، لكن السيد هيثكليف لم يسمح بذلك ، ولا أجد
أى علاج الا اذا تزوجت ثانية .

وهذه يا سيد لوكوود هي الحالة الراهنة من
الأمر في مرتفعات وذرينج .

فاصل

تغير العائلة

(سبتمبر ١٨٠٢)

برويها السيد لوكوود

الفصل السابع والأربعون

زيارتي الثانية للمرتفعات

وفي الحال بعد أن عادت لي صحتي العام الماضي ،
غادرت مزرعة تراش كروس ، وعدت الى لندن . اذ لم
تناسبني العزلة ولا هذه المنطقة القفر ، وبسرعة نسيت
كل شيء عن فترة اقامتي هناك .

ولكنني ، في شهر سبتمبر الحالي ، دعيت لحضور
موسم الصيد في الشمال . وفي طريقى الى بيت
صديقي صاحب الدعوة ، وجدت نفسي بدون توقع على

بعد خمسة عشر ميلا من جيمرتون ، فتولتني رغبة
مفاجئة لزيارة مزرعة تراش كروس .

وخطرت لي بأن أمضى الليلة تحت سقف البيت
الذى استأجرته ، بدلا من الفندق . بالاضافة الى
الاستغناء عن يوم بسهولة لانها الموضوعات المعلقة مع
صاحب البيت ، حيث أنني قد أنذرت به بدم تجديد
الايجار عند انتهاء سنة الايجار المتفق عليها في نهاية
شهر أكتوبر القادم .

وصلت الى فناء المزرعة ، فرأيت امرأة عجوزا
تجلس فوق سلال البيت ، فسألتها :

- هل السيدة دين بالداخل ؟

فاجابت قائلة :

- السيدة دين ؟ كلا ! انها لا تعيش هنا . انها
تعيش في المرتفعات الآن .

طلبت منها أن تجهز لي غرفة لأرتاح فيها لليلة
واحدة ، وتركت المكان وتوجهت نحو الطريق المجري

المؤدي الى بيت السيد هيتكليف ، وكانت الشمس على
وشك المغييب ..

وفي هذه المرة لم يكن على أن أفك سلسلة البوابة
ولا الطرق عليها . وكانت رائحة حلوة لزهور الحديقة
تعبق الجو . وكانت الأبواب والنوافذ مفتوحة ، فأمكنني
رؤية وسماع اثنين من أهل البيت وهما جالسين في
الداخل .

صوت في حلاوة رنين الجرس الفضي ، كان يأمر
شخصا آخر ليقرأ بعض الجمل بشكل صحيح . وبدأ
القراءة صوت خشن . وكان المتحدث شابا يرتدي
ملابس محترمة ، ويجلس وأمامه كتاب على المائدة .
وكان وجهه الوسيم يشع بالفرح ، وعيناه تتجولان بصبر
نافذ من صفحة الكتاب الى يد بيضاء صغيرة على كتفه ،
تقف صاحبيتها خلفه ، وخصلات شعرها اللامع فاتح
اللون يلامس شعره البني من حين لآخر ، كلما انحنت
لتفحص دراساته . ومن حسن الحظ أنه لم يكن يستطيع
رؤية وجهها الفاتن ، والا لما استطاع أن يتابع بهذا
الثبات .

وانتهى الدرس بعد تصحيح بعض الأخطاء ، ولكن التلميذ طالب بمكافأة ، فتلقى بعض قبلات ردها بكرم .. ثم خرجت كاتى وهيرتون ، وهما من كنت أراقبهما ، ووقفا عند الباب ، ومن حديثهما فهمت أنهما على وشك الذهاب فى جولة فى منطقة المستنقعات .. فبدى لى أن ظهورى لن يكون موضع ترحاب .

واستدرت باحثا عن المطبخ ، الذى كان باباه مفتوحا أيضا . وكانت تجلس فيه صديقتى القديمة نيللى دين تخيط وتغنى ، وكان صوت يوسف يقاطع أغنيتهما بين حين وآخر . ولما رأتنى ، قفزت واقفة وهى تصرخ :

— غير معقول . السيد لوكوود ! كيف فكرت فى العودة بدون سابق انذار ؟ كل شئ مقفول عليه بالمزرعة .

فاجبت :

— اننى مسافر ثانية غدا ، ولكن كيف جئت الى هنا ؟

لقد تركت زيللا وظيفتها ، وطلبني السيد
هيشكليف لأحل محلها ، وذلك بعد ذهابك الى لندن ،
يا سيدى .. هل أتيت من جيمرتون ماشيا ؟

- بل من المزرعة ، وأثناء تجهيزهم لمبىتى هناك ،
أود أن أصفى أعمالي مع سيدك !

- أية أعمال يا سيدى ؟ لقد خرج !

- بخصوص الايجار .

- آه ! اذن فلا بد أن تصفيها مع كاتى أو بالأحرى
معى . فهى لم تتعلم ادارة شئوننا بعد ، وأنا أقوم
بتمثيلها ، ولا يوجد شخص آخر .

واستمرت قائلة :

- آه ! انك لم تسمح بوفاة هيشكليف ؟!

- هيشكليف مات ؟! متى ؟!

- منذ ثلاثة أشهر .. اجلس ، وسأخبرك عن كل
شئ . لكن انتظر ! .. انك لم تأكل شيئا ، اليس
كذلك ؟

- لا أريد شسيثا • لقد طلبت منهم أن يجهزوا
العشاء بالمزرعة • اجلسى ، اجلسى • لم أفكر اطلاقا
فى موته : هل تنتظرين عودتهما بعد قليل ؟ • • أقصد
الفتى والفتاة •

- كلا ، انى أوبخها كل مساء على تجولهما لساعة
متأخرة ، ولكنهما لا يستمعان لكلامى •

ثم اخبرتنى بالنهاية الغريبة لهيثكليف • •

الجزء الثالث

ثمرة الانتقام عديمة المذاق

(فبراير - أبريل ١٨٠٢)

الفصل الثامن والأربعون

الا يمكن أن تتحدثي معي ؟

في غضون أسبوعين من مغادرتك للمزرعة ياسيد
لوكوود ، استدعوني للذهاب الى مرتفعات وذرينج
فامتثلت وأنا مسرورة لأجل كاتي . وأول لقاء لي معها
أزعجني وملاني بالأسى ، فلقد تغيرت كثيرا منذ انفصالنا .
ولم يفسر السيد هيثكليف لماذا غير رأيه ازاء قدومي .
وقال فقط انه تعب من رؤية كاتي ، لذلك يجب أن
أعد الحجرة الصغيرة بالطابق العلوى ، التى كانت تخص
لنتون وأحولها الى حجرة جلوس لي ، وأحتفظ بكاتي

معى • وبدا عليها الفرح لهذا الترتيب ، وعلى فترات
أحضرت سرا من المزرعة عددا من الكتب وأشياء أخرى •
كانت كاتى فى البداية راضية الحال ، لكنها
أصبحت بعد فترة وجيزة قلقة ، لا يرضيها شئ •
وكنت مضطرة لتركها فى كثير من الأوقات ، فهمى
محظور عليها تجاوز الحديقة ، وعلى أن أشرف على المنزل ،
فكانت تشكو من الوحدة • وكانت تفضل الشجار مع
يوسف فى المطبخ عن الجلوس وحيدة فى سلام • لم أكن
أهتم بذلك ، لكن هيرتون كان موجودا فى المطبخ أيضا
أغلب الأوقات • وبالرغم من أنها كانت فى البداية
أما أن تنصرف عند قدومه أو تشاركنى فى عمل غير
ملتفتة له على الإطلاق • إلا أنها غيرت سلوكها بعد
فترة ، وأصبحت لا تستطيع أن تدعه وحيدا ، وتحدث
عنه ، وتعلق على كسله وغبائه •• وتبدى استغرابها من
نمط حياته وكيف يتحملها ، حتى أنها علقت ذات مرة
قائلة :

— ان هيرتون مثل الكلب ، اليس كذلك يا نيللى ؟
أو مثل الحصان الذى يجر العربى ، يؤدى عمله ، ويأكل

لعامه ، وينام . هل تحلم يا هيرتون ؟ ألا تستطيع أن
تتحدث معي ؟

وتتطلع اليه ، ولكنه لا يفتح فمه ، ولا ينظر اليها
ثانية ..

وقالت مرة أخرى :

- أننى أعرف لماذا لم يحدثنى هيرتون مطلقا وأنا
فى المطبخ . انه يخشى أن أسخر منه .. وبدأ ذات مرة
يعلم نفسه القراءة ولأننى سخرت منه قام بإحراق كتبه
وتوقفت عن التعلم . أليس بأحمق ؟

وقلت لها :

- ألم تكونى شقية ؟ أجيبينى !

فقالت :

- ربما كنت . لكنى لم أتوقعه بهذا الغباء ..
هيرتون .. هيرتون ، اذا أعطيتك كتابا هل تأخذه
الآن ؟

ووضعت كتابا في يده فما كان منه الا أن القاه بعيدا وهددها ، فقالت :

- حسن ، سأضع الكتاب في درج المكتب ،
وسأذهب لأنام .

وهمست لى بأن أراقبه اذا كان سياخذه عند
ذهابها . ولم يقترب منه .. كنت لاحظ أسفها اذا
جفائه المستمر وكان ضميرها يؤنبها لاختافته من تحسين
مستواه .

وحاولت بكل جهدها علاج ما تسببت فيه من
ايزاء .. وبينما كنت أقوم بعمل في المطبخ كانت كثيرا
ما تحضر بعض الكتب المسلية وتقرأها بصوت عال ..
وعند وجود هيرتون كانت تتوقف عن المناقشة وتترك
الكتاب مفتوحا .. وكررت ذلك عدة مرات ، لكنه كان
مصرا على المقاومة ، واعتاد في الطقس الرطب أن يدخن
مع يوسف ، أما في الأيام الصحوه فكان يذهب
للصيد .. وفي تلك الاثناء كانت كاتى تتنهد ، وتشكو
وتطلب منى أن أتحدث معها ، وتقول بأن حياتها عديمة
الجدوى ..

الفصل التاسع والاربعون

وأصبحا فى النهاية صديقين

أما السيد هيثكليف الذى أخذ يميل الى حياة العزلة ، قد منع هيرتون تقريبا من دخول حجرته . وبسبب حادث وقع له فى بداية شهر مارس اضطر الشاب الى البقاء فى البيت ، وفى المطبخ بالذات لعدة أيام . لقد انفجرت بندقيته اثناء وجوده فى التلال ، فأصيب فى ذراعه ونزف كمية كبيرة من الدم . فناسب ذلك كاتى ، ليكون بجوار المدفأة معها . وازدادت كراهيتها لحجرتها بالطابق العلوى .

وفى يوم الاثنين الموافق لعيد الفصح ، ذهب

يوسف الى سوق جيمرتون مع بعض الماشية ، وفى
بعد الظهر كنت مشغولة فى كى بعض الملابس بالمطبخ .
وجلس هيرتون صامتا كعادته فى ركن المدخنة وكانت
كاتى ترسم بعض الصور بجوار النافذة ، وتسلى
نفسها بترديد بعض الاغنيات ، وبعلامات تعجب
هامسة وبنظرات خاطفة نافذة الصبر فى اتجاه هيرتون
الذى يواصل تدخينه . لم اعرها التفاتا لكنى سمعتها
تقول :

- لقد اكتشفت يا هيرتون انى سعيدة ، وأرغب
ان تكون ابن عمى حقا ، اذا لم تكن خشنا وعبوسا
نحوى !

ولم يكثرث هيرتون لكلامها ، فقالت :

- هيرتون ! هيرتون ! هل تسعدنى ؟

فاجابها بحدة :

- اذهبى عنى !

فاقتربت منه بحدرك ، وانتشلت غليونته وقالت :

- دعنى أخذ هذا الغليون .

وقبل أن يحاول استرداده ، كانت قد كسرتة
والقت به . فى النار . فسبها وأخذ غليونها آخر ،
فصرخت به :

- كفى ! استمع الى أولا ، لا يمكننى أن اتحدث
وهذه السحب تهب على وجهى .

فصرخ قائلاً :

- اذن اخرجى ، ودعيني وحيدا !

- لا . لن أخرج وسأجعلك تهتم بى . فانت
ابن خالى . وعندما أنادى عليك يا غبى ، فانا لا أقصد
ازدراءك .

- ليس لى شأن بك ، ولا بسخريتك اللعينة
منى ، ولن اتطلع اليك ثانية . واذهبى عنى هذه
اللحظة !

فبعدت كاتى تجاه النافذة وهى تجز على شفتها
وتقاوم البكاء . فتدخلت قائلة :

- يجب أن تكونا صديقين أنت وابنة عمك
يا سيد هيرتون ، وخاصة أنها تأسفت عن سلوكها
السابق . وفى مصلحتك أن تقبلها رفيقة لك .

فصرخ هيرتون :

- رفيقة ؟ أنها تكرهنى وتعتقد اننى لا أصلح
لمسح خذائها !

فانفجرت كاتى فى البكاء وقالت :

- لست أنا الذى أكرهك ، بل انت الذى
تكرهنى ! انك تكرهنى أكثر من السيد هيثكليف .

- هذه ليست الحقيقة . فلقد أثرت غضبه بسبب
دفاعى عنك مئات المرات ، فى الوقت الذى تهزئين بى
وتزدريينى !

فاجابته وهي تمسح بعينيها :

— لم أعرف أنك دافعت عني ، ولقد كنت خائفة
وغاضبة من الجميع • أما الآن فاني اشكرك ، وارجو
أن تغفر لي •

واقتربت منه وقدمت يدها لمصافحته لكنه لم
ينظر اليها ولم يأخذ بيدها • لا بد أن كاتي أخذت
هذا الرفض على أنه عدم رغبة في الاستسلام لا على أنه
كراهية ، لأنها بعد بقائها مترددة لبرهة انحنت ولثمت
خده بقبلة رقيقة ، واعتقدت الشقية انني لم أرها ،
وانسحبت جالسة على مقعدها بجوار النافذة ، فهزرت
براسي مستنكرة فاحمر وجهها •

وظل هيرتون حريصا على اخفاء وجهه في الظلام
لبرهة ، وعندما نهض كان متحيرا اين يوجه نظره •
وانصرف كاتي آتئذ في تغليف كتاب رقيق بورقة
بيضاء ، وربطته بشريط وكتبت عليه « الى السيد
هيرتون ايرنشر » ثم طلبت مني ان اقدمه اليه
كهدية قائلة :

- وقول له ، اذا اعجبه ، فسأتى لأعلمه كيف يطالعه ، واذا رفض فساأصعد الى الطابق العلوى ولا أزعجه مرة أخرى .

وحملت الرسالة اليه ، واسندت كاتى رأسها على ذراعيها فوق المائدة الى أن سمعت صوت نزع التغليف ، فتسللت وجلست بهدوء بجوار ابن خالها . فارتعد وأحمر وجهه ، وهجرته كل وقاحته ، ولم يجد فى البداية الشجاعة ليحيب على نظرتها المستفسرة ولو بكلمة واحدة . فقالت له :

- قل انك سامحتنى يا هيرتون . قل !

وتتم بشئ لم تسمعه .

- قل ، ومنصب صديقين .

فاجاب :

- ولكنك مستخجلين منى كل يوم من أيام حياتك ولا أستطيع تحمل ذلك .

فقلت وهي تبتم بابسامة كالسكر وتقترب
منه اكثر :

- اذن ، فانت لست صديقى .

ولم اسمع مزيدا من الكلام ، لكننى عندما تطلعت
ثانية رأيت وجهين - سعيدين مشرقين متكفين على
صفحات الكتاب الهدية .

وهكذا بدأت الصداقة ونمت بسرعة ، برغم وجود
بعض العقبات أحيانا . فهيرتون لم يتمدين برغبته
ولم تكن سيدتى الصغيرة مثالا للصبر . الا أنهم
استطاعا أن يصبحا فى النهاية صديقين ..

الفصل الخمسون

شجيرتان أو ثلاث

وفي اليوم التالي ، نزلت كاتى قبله وتوجهت الى الحديقة حيث كان هيرتون يقوم ببعض الأعمال الخفيفة . وعندما ناديت عليها لتناول الافطار ، رأيتها وهي تحث على تنظيف رقعة كبيرة من الارض وازالة بعض شجيرات الفاكهة منها ، واصبحت مشغولين في التخطيط لاحضار بعض النباتات من مزرعة تراش كروس .

وانزعجت من التغيير الذى تم في فترة نصف ساعة . وكانت شجيرات الفاكهة هي كنوز يوسف ، وقامت هي بغرس مختاراتها من الزهور في وسطها .

فصحت قائلة :

— آه ! سيري ذلك السيد ، وسنرى انفجارا
جميلا ؟

فاجاب هيرتون متحيرا :

— لقد نسيت انها تخص يوسف ، ولكني
ساخبره بانى الذى فعلت ذلك ..

• كنا نتناول طعامنا دائما مع السيد هيشكليف .
وكنتم أقوم بعمل الشاى والخدمة على الأكل . وكانت
كاتى تجلس عادة بجوارى ، ولكنها اليوم تسللت اقرب
لهيرتون . فقلت لها نصيحتى الهامسة ونحن ندخل
الغرفة :

— لاحظى الا تكثرى من الكلام والاهتمام بهيرتون
لان ذلك سيضايق السيد هيشكليف بالتأكيد وسيغضب
منكما .

وبعد دقيقة واحدة اتجهت نحوه ، واخذت ترشق
الزهور فى طعامه ..

ولم يجرؤ هو على الكلام ، ولكنها استمرت
حتى لم يعد بإمكانه أن يمسك نفسه عن الضحك .
فنظرت معترضة ورننت هي في اتجاه السيد الذي كان
يبدو مشغول الفكر ..

ولكنه في النهاية التفت إليهما ، فقابلت كاتي
نظراته بنظرتها المعتادة من الخوف المشوب بالازدراء
فقال :

- من حسن الحظ انك لست في متناول يدي .
لماذا تنظران الى هكذا ؟ اخفضا ابصاركما ! لقد ظننت
اني استطعت أن أمنعكما من الضحك .

فاجاب هيرتون :

- أنا السبب في الضحك !

فنظر إليه هيثكليف لبرهة ، ثم عاد الى تناول
افطاره في سكون . وانتهينا تقريبا من طعامنا عندما
ظهر يوسف بالباب ، باديا بكل وضوح على شفثيه
المرتعشتين وعينييه الغاضبتين أنه اكتشف الهجوم الذي

حدث على شجيراته الثمينة . وكان من الصعب فهم
حديثه . واستمع هيثكليف لشكواه حتى نفذ صبره ،
فاستفسر أخيرا :

- هل هذا الاحمق سكران ؟ هيرتون ، هل أنت
الذي أخطأت في حقه ؟

فاجاب الشاب :

- لقد نزعنت شجيرتين أو ثلاثا .

- ولماذا نزعتهن ؟

فاجابت كاتى :

- اردنا ان نزرع بعض الازهار هناك . وانا من
استحق اللوم .

- وانت ، من سمح لك بذلك ؟ وانت يا هيرتون
من أمرك ان تطيعها ؟

فسكت الشاب واجابته كاتى :

- كان لا يجب عليك أن تهتم لاستخدامى بضعة

امتار من الأرض لتجميلها ، بينما استوليت أنت على
أرضي كلها ٠٠ !

- أرضك ! لم يكن لك أرض مطلقا !

- وأموالي !

- اسكتي ! انهي طعامك واذعبي !

فاضافت قائلة :

- وأرض هيرتون وأمواله . نحن صديقين الآن ،
وساخبره بكل ما فعلته !

وبدا على هيثكليف عدم القدرة على الرد لفترة ،
وشحبه لونه ناظرا الى كاتى بتعبير كراهية قاتل ،
ثم وقف بشكل مفاجئ . فقالت له :

- اذا ضربتنى ، فسيضربك هيرتون ، لذلك فمن
الأفضل أن تجلس !

فحاول هيرتون هامسا أن يحثها على الذهاب ،
لكنها اضافت قائلة :

- لن يطيعك بعد ذلك ، أيها الشرير ، وسيكرهك
قدر ما أكرهك !

فتهم الشاب :

- اسكتي ! لا أريد أن أسمعك تحدثينه هكذا !

- لكنك لن تسمح له بأن يضربني !

فهمس لها قائلاً :

- تعالى .. تعالى .. !

لكن هيثكليف كان أمسك بها ووضع يده في
شعرها ، وحاول هيرتون أن يخلصها منه متوسلاً إليه
ألا يؤذيها هذه المرة . وبرقت عينا هيثكليف وبدا
أنه على وشك تمزيقها أرباً .. واندفعت لانقاذها
عندما تراجعت أصابعه من على خصلات شعرها فجأة ،
ثم سحب يده ووضعها فوق عينيه ووقف للحظة
ليتحكم في نفسه والتفت الى كاتي وقال كأنهما تحفظه :

- أرجو أن تتجنبى اثارتى ، والا سوف أقتلك

في إحدى المرات ! اذهبي الى نيللي ، وابقى معها . أما

هبرتون ارثشو ، لو رأيتہ ينصاع لك فساجعله بلا
ماوى • ان حبك سيجعله متسو لا ! اتركونى كلکم !

فاخذت كاتى وخرجنا ، وكانت مسرورة لمقاومتها
له • وعند الغداء ، نصحتها ان تتناول طعامها فى
الطابق العلوى ، ولكنه عندما رأى مقعدها خاليا أرسلنى
لأنادى عليها • ولم يتكلم مع أحد منا • ولم ياكل الا
القليل ثم خرج قائلا بأنه لن يعود قبل المساء •

الصل الحادى والغصون

نهاية هزيلة لكفاحى

وثناء غياب هيثكليف طول اليوم ، بقى الصديقان الجديدان فى المنزل . وسمعت هيرتون يكلم كاتى بحزم عند سردها قصة تصرف هيثكليف تجاه أبيه ، وأكد لها بأنه لن يسمح لسماع كلمة واحدة تقال فى حق هيثكليف . ومهما كان تصرف هيثكليف فسيبقى بجانبه . فأحست كاتى بالحرج خصوصاً عندما سألها هل تحبه أن يتحدث بسوء عن أبيها .. عندئذ فهمت الصلة الوثيقة التى تربط بين هيرتون وسيد مرتفعات وذرينج . صلة أقوى من أن يخطئها

العقل .. اذ كونتها العادة ، ومن القسوة محاولة
فصامها .

ومنذ ذلك الحين ، أبدت روحا طيبة ، وامتنعت
عن التعرض لهيشكليف سواء بالشكوى أو بتعبيرات
الكراهية ، واعترفت لى عن أسفها لمحاولتها إثارة
الكراهية بينه وبين هيرتون .

وعندما زالت هذه الغمة ، عاد الصديقان الى
انشغالهما كتلميذ ومعلمة . وكنت أشعر بالراحة
عندما أجلس معهما ، وأراقبهما حتى أننى كنت لا
أشعر بمرور الوقت . وأحس انهما قطعة منى . كنت
فخورة بأحدهما لمدة طويلة والآن ، فانى على يقين بأن
الآخر يستحق هذا الاحساس على قدم المساواة .

وبسرعة ازالتم امانته ، وطبيعته الذكية الدافئة
غشاوة الجهل والانحطاط الذى نشأ وجبل عليهما ،
وأزاد من تقدمه المضطرب اخلاص كاتى وتشجيعها له .
لقد تغير تماما ، وأصبحت تصرفاته على درجة كبيرة
من النبيل ، وأكاد لا أصدق أنه هو نفس الشخص

الذى رايته يوم اكتشافى وجود كاتى بمرتفعات
وذرينج بعد ذهابها بجوارها الى الصخور .

وبعد مغيب الشمس عاد السيد هيثكليف
ودخل علينا من الباب الامامى دون أن نتوقعه وقبل أن
نرفع رؤوسنا نحن الثلاثة . كان منظرنا كله سلام
وبهجة ، فاحسست بالأسى لو انقلب هذا الجو الى
توبيخ يوجه لنا . وانعكس ضوء المدفأة الاحمر بلطف
على راسيهما وأبان عن شغف الأطفال على وجهيهما .
فبالرغم من أنه فى الثالثة والعشرين وهى فى الثامنة
عشر ، الا أن كلا منهما لديه الكثير مما يتعلمه ويشعر
به ، لذلك كانا كطفلين يحبوان فى المعرفة معا .

ورفعا راسيهما معا ، فبدا تشابه عيونهما وهى
نفس عيون كاترين ايرنشو . ولا يوجد تشابه آخر
فى كاتى الحالية الا جبينها العريض . اما هيرتون فكان
التشابه واضحا فى ملامح وجهه اكثر وأكثر . ربما
لأن عقله كان نشيطا فوق العادة . واطن أن هذا

التشابه أثار هيثكليف الذى اتجه نحو المدفأة متكدرا
بشكل ملحوظ . ثم نظر الى الشاب وأخذ الكتاب من
يده ، وألقى بنظرة سريعة على الصفحة ثم أعاده اليه
دون ابداء أية ملاحظة ، وأشار الى كاتى بالخروج ،
فتبعها هيرتون على الفور . وهممت بالخروج أيضا لكن
هيثكليف طلب منى البقاء ، ثم قال بعد برهة :

- انها نهاية هزيلة ، اليس كذلك ؟ نهاية سخيعة
لكفاحى . لقد وجهت كل طاقاتى فى التخطيط لتدمير
الأسرتين ، وعندما أصبح كل شىء جاهزا .. أجد
الارادة فى التنفيذ قد اختفت ! فاعدائى القدامى لم
يهزمونى . والآن هذا هو الوقت المناسب للانتقام من
ذويهم .. ويمكننى القيام بذلك ، ولا يستطيع أحد
أن يمنعنى ! لكن ما هى الفائدة ؟ .. ان هذا ليس
كرما منى .. بل لقد فقدت قوة للاستمتاع بتدميرهما
.. وانى كسول لأدمر دون مقابل .

نبلى .. ان تغييرا غريبا يبدو لى عن كذب ..
انى أقف فى ظله حاليا .. انى لا أهتم بحياتى اليومية

حتى أكاد لا أتذكر المأكول والمشرب • لكن هذين الاثنين فقط هما اللذان لهما ظهور واضح عندي • وهذا الظهور يسبب لي الألم •• أما هي ، فلن أتكلم عنها ، ولا أرغب في التفكير فيها • فوجودها يكاد أن يسبب لي الجنون •• أما هو فتأثيره على مختلف •

من خمس دقائق بدا هيرتون كصورة حية لشبابي اني اكن له مختلف المشاعر • أول كل شيء فان هذا الشبه الكبير بينه وبين كاترين يربطه معها في عقلي بشكا ، مخيف • اني لا أستطيع أن أنظر الى الأرض دون أن أرى وجهها يتشكل على الأحجار ! في كل سحابة في كل شجرة أراها ! وكثيرا ما تخدعني وجوه رجال ونساء عاديين أظن أنهم يشبهونها •• العالم كله مجموعة مربعة من التنبهات في أنها موجودة •• وفي اننى قد فقدتها !

كان ظهور هيرتون هو شبح حبي ، الروح التي لا تموت للمحاولات الشرسة للتمسك بحقي •• لانحطاطي وكبريائي •• لسعادتي وشغائي ••

لكن ، انه من الجنون أن أقول لك أفكارى !

فقلت منزعة لسلوكه :

— وماذا تعنى بالتغيير يا سيد هينكليف ؟

— سوف أخبرك بذلك ، عندما يحين الوقت ..

لم يكن فى حالة تنذر بفقدان أعصابه ولا فى حالة احتضار . وحسب حكمى ، كان فى منتهى القوة والصحة ، أما بخصوص خياله ، فكان لديه دائما منذ الطفولة متعة فى التخيلات الغريبة .. ربما تكون لديه أفكار غريبة ثابتة عن موضوع حبه الضائع ، لكنه فى جميع الموضوعات الأخرى كان عقله حادا وطبيعيا

وسأله :

— هل تشعر بأعراض مرض ما يا سيدى ؟

— كلا يا نيللى .. !

— اذن ، فانت تخاف الموت ؟

— أخاف ؟ كلا ! انا لا أخاف الموت ولا آمل فيه

ولماذا اخشاه ؟ فبقوتى وطريقة حياتى الصحية يجب

ان أبقي على هذه الأرض لآخر شعرة سوداء فى رأسى !
ومع ذلك لا أستطيع ان استمر على هذه الحالة ! على
ان اذكر نفسى لانتفس ، او ربما اذكر قلبى ليدق ! ان
لدى رغبة واحدة وكيانى كله شغوف لتحقيقها ! .. وأنا
متأكد بانها مستحق .. وقريبا .. لانها أتت على
وجودى . آه يا الهى ! انه لصراع طويل ، أتمنى لو
ينتهى !

وأخذ يندرع الحجرة ذهابا وإيابا بشكل قلق ،
متمتما بأشياء مرعبة حتى انى بدأت أؤمن بما قاله
عنه يوسف من أن ضميره قد حول قلبه الى ملاذ ممكن
للعذاب ..

الفصل الثانى والخمسون

التغير ياتى

وبعد تلك الأمسية اخذ هيثكليف يتجنب لقاءنا على مائدة الطعام لعدة أيام . ومع ذلك لم يكن يوافق أن يتناول هيرتون أو كاتى طعامهما فى مكان آخر . كان لا يحب هذا الاستسلام التام لأحاسيسه ، ويفضل أن يغيب ويتناول طعامه مرة كل أربع وعشرين ساعة .

وذاث ليلة ، بعد أن خلد الجميع للنوم ، سمعته ينزل ويخرج من الباب الأمامى . وفى الصباح لم يعد . . كان ذلك فى شهر ابريل والطقس حلو ودافئ ، والعشب أخضر وشجرتا التفاح عند الجدار الجنوبي مزدهرتين تماما . وأصرت كاتى على أن أحضر

كرسيا واقوم بعملى فى الخارج ، كما حثت هيرتون على أن يحضر ويرتب حديقته الصغيرة التى نقلها الى هذا الركن لارضاء يوسف . واستمتعت بالسمااء الزرقاء ، وبالشمس الدافئة ، عندما عادت سيدتى الصغيرة من جانب البوابة ، حيث كانت تحضر جذور ازهار لوضعها كفاصل واخبرتنا بأن السيد هيثكليف قادم . وقالت متحيرة :

- وكلمنى . لقد طلب منى أن أبتعد .. لكنه يبدو مختلفا تماما حتى أننى حيلقت فيه طويلا .

فسال هيرتون :

- كيف ؟

- مشرق ومبتهج .. لا ، بل أكثر من ذلك !
وقف هيثكليف عند الباب المفتوح . فبدأ شاحبا مرتعد الأوصال ، لكن عينيه تشعان فرحا غريبا ، فسأله :

- هل ترغب فى تناول الافطار ، لا بد أنك جائع .

فاجاب بنوع من الازدراء :

- كلا ، اننى لست جائعا !

- لا أعتقد أنه من الصواب التجول خارج البيت
أثناء الليل ، خاصة فى هذا الفصل الرطب . سيسبب
لك نزلة برد سيئة .

- لا شىء لا أستطيع تحمله .

ولاحظت أنه يتنفس تنفسا سرىما كالقط .

وفى منتصف النهار ، جلس معنا على الغداء ،
وملات له صحننا ، وقدمته له . أخذ السكين والشوكة
وهم بالاكل ، ولكنه ما لبث أن اعادهما فجأة الى
المائدة ، وراح ينظر بلهفة نحو النافذة ، ثم نهض
وخرج ، ورأيناه يسير فى الحديقة ، فقال هيرتون أنه
سيذهب ويسأله عن سبب عزوفه عن تناول الغداء .
وعندما عاد سأله كاتى :

- ماذا ؟ هل سيأتى ؟

- كلا ، لكنه ليس جائعا ، وطلب منى أن أعود
إليك ، وكيف أرضى عنك بديلا ؟

فوضعت صحنه بجانب المدفأة ليحتفظ بدفئه •
وبعد ساعتين تقريبا عاد هيثكليف بنفس الفرح غير
الطبيعى المرسوم على وجهه الأسمر ، وتظهر أسنانه
من لحظة لأخرى كاشفة عن شبه ابتسامة ، وكان جسمه
يرتعش ، ليس كمن يرتعش من البرد أو الضعف ،
ولكن كارتعاشة الوتر عند لمسه ، فقلت له :

— هل سمعت أخبارا سارة ، ياسيد هيثكليف ؟
انك تبدو منفعلا بشكل غير عادى •

— ومن أين تأتىنى الأخبار السارة ؟ وعلى فكرة
يانيللى دعينى أتوسل اليك أن تحذرى هيرتون
والأخرى أن يبتعدا عنى • أريد هذا المكان لأختل فيه •
— اخبرنى أولا ، لماذا تبدو غريبا هكذا ، ياسيد
هيثكليف ؟

— سأخبرك •• فى الليلة الماضية كنت على
شفى العذاب ، واليوم فانا على مقربة من سمائى • لقد
وقعت عينى عليها •• ثلاثة أقدام فقط تفصلنى
عنها ! والافضل أن تذهبى من هنا الآن •

وأخذت غداه الذى لم يلمسه ، وأنا أكثر حيرة
عن قبل . ولم يغادر المنزل ثانية ، وفى الساعة الثامنة
حملت شمعة وطعام العشاء له . فوجدته مستنذا على
حافة النافذة المفتوحة . والنار تحولت الى رماد ،
والحجرة مملوءة بالهواء الهادى الرطب ، ولذلك كان
خرير جدول الماء بقرية جيمرتون تصل الى سمعى .
بدأت أغلق النوافذ ، الواحدة تلو الأخرى ، الى أن
وصلت الى نافذته ، فسمعت لآلته انتباهه :

— هل أغلق هذه النافذة ؟

ومض ضوء على وجهه عندما تكلمت . يالها من
صدمة مخيفة التى استولت على ! اذ بدت لى هذه
العيون السوداء الفائرة وتلك الابتسامة وذلك الشحوب
الخاص بالموت ! انه ليس بالسيد هيثكليف ، بل روح
شريرة ، ومن فزعى تركت الشمعة تنطفئ ، وقال
بصوته المعتاد :

— نعم ، أغلقها . ما هذا الارتباك . . هدى
من روعك واحضرى شمعة أخرى !

أسرعت خارجة في حالة خوف أحقق ، وطلبت
من يوسف أن يأخذ شمعة اليه . وذهب وعاد في
الحال وطعام العشاء في يده قائلا أن سيده سيأوى
الى الفراش ، ولن يأكل حتى الصباح .

وسمعه يتوجه الى الطابق العلوى . ولم يدخل
الى حجراته العادية ، بل توجه الى الحجرة التى تحتوى
على الفراش ذى الخزانة الخشبية ، حيث اعتادت
كاترين ايرنشو ان تنام . كانت ليلة مزعجة بالنسبة
لى . أخذت أستعيد ، فى عقل ، الحياة والطبيعة
الغريبة لهيثكليف ، متذكرا كيف تكفلت برعايته
طفلا ، وراقبته وهو ينمو ويكبر ، وقلت لنفسى :

— ولكن من أين جاء ، هذا الشيء الأسمر
الصغير ، الذى عاش بحماية رجل طيب ليسبب دمار
عائلته ؟

وبدأت أتخيل ، وأنا شبه نائمة ، والديه ...

الفصل الثالث والخمسون

لقد وصلت تقريبا الى سمائي

وفي الصباح التالي ، جهزت طعام الاقطار كعادتي ، وحيث أن كاتي وهيرتون فضلا تناول افطارهما في الخارج ، لذا جهزت طعاما بسيطا لهما . وعند دخولي ثانية وجدت السيد هيثكليف بالطابق السفلي . كان يتحدث مع يوسف بخصوص بعض أعمال الفلاحة ، فأعطى له توجيهات واضحة مضبوطة تخص الموضوع الذي يناقشه معه ، ولكنه كان يتحدث بسرعة ، ويلتفت برأسه جانبا باستمرار ، وعلى وجهه نفس التعبير الثائر .

وعندما غادر يوسف الحجرة ، جلس على مقعده

المعتاد ، فقدمت له القهوة ، ووضعتها أمامه ، فقربها
اليه ثم استند بذراعيه على المائدة وراح ينظر الى الجدار
المقابل ، ومثبتا عينيه المحمومتين على مكان محدد باهتمام
وشغف لدرجة انه توقف عن التنفس لبرهة •
فصرخت به وانا أدفع بالحيز ليلا مس يده :

- هيا ، كل واشرب الآن وهو ساخن •
فلم يلاحظني ، ولكنه ابتسم ، فصرخت ثانية :
- سيد هيثكليف ! سيدي ! لا تفعل هكذا ،
اتوسل اليك ، لا تحملق وكأنك ترى شيئا !

فاجاب :

- لا ، اتوسل اليك لا تصرخى عاليا • التفتي ،
واخبريني ، هل نحن وحدنا ؟
- طبعا •

وبحركة من يده ، أزاح الطعام من أمامه ، ومال
للأمام ليحملق وهو على راحته ورايته لا ينظر الى
الحائط ، كان يبدو أنه يثبت عينيه على شيء ما ضمن

مسافة متر أو مترين . ومهما كان هذا الشيء ، فكان هناك اتصال بينهما يبعث البهجة والالم بأقصى حديهما ، على الأقل كان التعبير على وجهه يوحى بذلك . ولم يكن هذا الشيء ثابتا أيضا ، فعيناه تتبعانه في مراقبة لا تمل ، وحتى وهو يتحدث معي لم تبرح عيناه هذا الشيء وذكرته بطعامه ، ولكن دون جدوى !

جلست ، نموذجاً للصبر ، محاولة أن ألفت انتباهه ، حتى تضايق ونهض خارجا . وغادر المنزل ، مارا ببطء عبر ممر الحديقة واختفى فيما وراء البوابة .

وزحفت الساعات ، وجاء ليل آخر ، ولم أذهب للنوم الا في ساعة متأخرة ، وعندما ذهبت لم أستطع النوم . وعاد هيثكليف بعد منتصف الليل . وأغلق على نفسه باب حجرة الجلوس . وأخذت أنصت ، وبعد فترة ارتديت ملابسى ونزلت للطابق السفلى .

استطعت سماع خطوات هيثكليف القلقة وهو يقطع الحجرة ذهابا وإيابا . وكثيرا ما كان يكسر السكون أنينه وتمتمته بكلمات قليلة أيضا . وكانت

الكلمة الوحيدة التي استطعت التقاطها هي اسم
كاترين مرتبطا ببعض كلمات الحب أو المعاناة وكان
ينطقها ، وكأنه يتحدث لشخص حاضر !

لم تكن عندي الشجاعة لأدخل عليه ، لذلك قمت
بعمل ضجة وأنا أحرك نار مدفأة المطبخ . ففتح الباب
في الحال ، وقال :

– نيلى ، تعالى هنا . هل ظهر نور الصباح ؟

فاجبت :

– لقد ذقت الرابعة صباحا ..

– تعالى واشعلى لى نارا !

وأخذ يتجول جيئة ورواحا متنفسا بسرعة ،

وقال :

– عندما يظهر النهار ، سأستدعى جرين المحامى،
أريد ان استفسر منه عن بعض الشئون القانونية وأنا
مازلت أتصرف بهدوء . انى لم أحرر وصيتى بعد ،

ولا أعرف كيف أترك ممتلكاتى . آه لو كان بإمكانى
تدميرها من على سطح الأرض !

فقلت :

- لو كنت مكانك ، ما تكلمت هكذا . أترك
موضوع وصيتك لبعض الوقت . فسوف تعيش
لتأسف على كثير من أعمالك الظالمة ! انك فى حالة
عصبية ، والطريقة التى عشت بها هذه الأيام الثلاثة
الماضية تذهب بقوة أى انسان . تناول شيئا من
الطعام وخذ قسطا من الراحة .

- أيمكنك أن تحس انسان يضارع الماء أن يرتاح
وهو على بعد متر واحد من الشاطئ ؟ لابد أن أصل
الشاطئ أولا وعندئذ سأرتاح . حسنا ، انسى موضوع
السيد جرين . أما بخصوص أفعالى الظالمة ، فانا لم
أظلم أحدا ، ولا أأسف على شيء . فانا سعيد جدا ،
ومع ذلك فلست سعيدا بما فيه الكفاية . . . فسعادة
روحي تقتل جسدى ، ولكنها لا ترضى نفسها !

— أسمعيد أنت حقا يا سيدي ؟ لو أنك تستمع
الى فون أن تنضب ، لأسديت لك النصيحة !
— اسديها الى !

— يجب أن تعلم يا سيد هيثكليف ، انك منذ أن
كنت في الثالثة عشرة من عمرك وأنت تحيا حياة
أثالية غير متدنية . هل من الضرر حاليا أن تبعت
للقس ليرشدك ويساعدك على تصفية قلبك ؟

— اننى ممتن لك يا نيلل لانك ذكرتينى بالطريقة
التي أرغب أن أدفن بها . شيعونى الى مقابر الكنيسة فى
المساء على أن أرقد بجانبها . وأطلب منك أنت وهيرتون
أن تتابعا جثتى ، وتتاكدا من أن حفار القبور قد أطاع
تعليماتى بخصوص التابوتين ! ولا حاجة لحضور
القس ولا الى ترتيب الصلاة على قبرى . فلقد وصلت
تقريبا الى سمائى . وعندئذ سمع بقية أهل البيت
يستيقظون ، فنهض وذهب الى حجرته .

الفصل الرابع والخمسون

نهاية هيثكليف

وبعد الظهر ، حضر هيثكليف الى المطبخ ، بينما كان يوسف وهيرتون يقومان بعملهما ، وبمنظرة متوحشة طلب منى أن اجلس معه ، حيث يريد من يرافقه ، فرفضت قائلة له بكل صراحة بأننى أصبحت أخاف من كلامه وتصرفاته الغريبة . فقال :

— اعتقد انك تظنيننى من الأرواح الشريرة ، شيئاً مفزعاً ليعيش فى بيت محترم .

ثم التفت نحو كاتى واضاف متندرا :

— تعالى يا فتاة ، فلن أؤذيك . لقد جعلتك

تكرهينى . حسنا ، هناك واحدة لن تتراجع عن مرافقتى ! آه .. يا الهى .. انها بلا رحمة ، انها فوق طاقة البشر حتى تتحملنى أنا !

ولم يطلب من أى أحد آخر أن يبقى معه . وعند الغروب ذهب الى حجرته ، وسمعناه طوال الليل وهو يشن ويتمتم لنفسه . وكان هيرتون قلقا عليه ، وطلبت منه أن يستدعى الطبيب . وعندما عاد ، رفض هيثكليف أن يفتح الباب ، وقال أنه أفضل ، ويريد أن نتركه وحيدا ، لذلك غادر الدكتور كنيث البيت دون أن يرى المريض ..

كانت الليلة التالية ممطرة ، وبينما كنت أقوم بجولتى الصباحية حول المنزل لاحظت نافذة حجرته مفتوحة والمطر ينهمر بشدة داخلها . فظننت أنه مستيقظ ، اذ لا يمكن أن يكون فى فراشه بينما المطر ينزل عليه بهذه الشدة . فقررت أن ادخل وأنظر .

ونجحت فى الدخول بمفتاح آخر ، فوجدت السيد هيثكليف مستلقيا على ظهره ، والتقت عيناه

بعمى فى ثبات وحدة ، فشعرت بالخوف ، ثم تخيلته
يبتسم . لم أفكر مطلقا فى انه قد فارق الحياة ،
لكن المطر غسل وجهه وحلقه ، والفراش كان مبتلا
تماما . ووضعت أصابعى على إحدى يديه ، ولم
أعد أشك .

وصرخت على يوسف ، الذى جاء وركع على
ركبتيه ، وأعاد الشكر بأن السيد القانونى والعائلة
القديمة ستعود ملكيتهم لحقوقهم مرة أخرى .

وشعرت بالاضطراب والانزعاج لهذا الحدث
المفزع ، وعادت ذاكرتى الى الأيام الخوالى بنوع من
حزن لا يحتمل ، أما هيرتون المسكين ، أكثر شخص
أخطأ فى حقه ، فكان الشخص الوحيد الصادق فى
معاناته ، فقد جلس ، طول الليل ، قرب هيثكليف
وراح يقبل وجهه القاسى الهازى الذى يتجنب الجميع
النظر اليه ، وعانى حزنا قويا نابعا بشكل طبيعى من
قلب كريم .

وتحير الطبيب فى تسمية المرض الذى مات السيد

بسببه .. ودفناه ، حسب وصيته . وقام هيرتون
الذى تغطى وجهه بسيل من الدموع بوضع الغطاء
الأخير من التربة المزروعة بالحشائش فوق المقبرة .
أملأ أن ينأى ساكنه نوما هنيئا .

أما القرويون اذا سألتهم ، فسيقسمون بأنه
يسير .. ومنهم من يقول بأنهم قابلوه قرب الكنيسة ،
وفى منطقة المستنقعات ، بل وحتى داخل هذا المنزل ..
قصص حمقاء .. ربما !!

ومع ذلك فيوسف يعلن أنه رأى الاثنين -
هيكليف وكاترين - وهما يطلان من غرفة النوم فى
كل ليلة ممطرة منذ وفاته . وحدث لى شىء غريب منذ
شهر تقريبا .. كنت متوجهة الى المزرعة ، ذات مساء
راعد حالك السواد ، وعند انعطافى من المرتفعات ،
قابلت ولدا صغيرا مع اغنامه الثلاث ، وكان يبكى
بشدة ، فسألته :

- ماذا بك يا فتى ؟

فقال باكيا :

- هيثكليف وامرأة أخرى موجودان هناك ،
اننى لم أجرؤ على المرور !

ولم أر شيئا ، لكن رفضت الأغنام ، وكذلك الفتى
المرور من هناك ، لذلك أشرت اليه بأن يتخذ الطريق
السفلى . ربما تخيل أشباحا أثناء عبوره المستنقعات
بمفرده ، وذلك من جراء حديث أبويه وما يردده رفاقه
.. ومع ذلك، فلقد أصبحت أخشى الخروج فى الظلام،
كنّا أصبحت لا أحب البقاء وحدى فى هذا البيت ..
وسأكون سعيدة عندما يتركونه للعودة للمزرعة ..

النهاية

وداعا لمرتفعات وذرينج

الكلمات الأخيرة للسيد لوكوود .

الفصل الخامس والخمسون

الموتى فى سلام

وسكتت السيدة دين عن الكلام بعدما روت قصتها ،
فسالتها :

- ومتى سيعودون للمزرعة ، اذن ؟
- عندما يتم الزواج ، وسيكون ذلك فى عيد رأس السنة .
- ومن سيسكن هذا البيت ؟
- ميبقى يوسف مع شخص آخر ، وسيعيشان فى المطبخ . أما بقية المنزل فسيغلق .

فقلت معلقا :

— لكى تستخدمه الأشباح كسكنى لهم .

فقالت نيللى وهى تهز برأسها :

— كلا ، ياسيد لوكوود ، اعتقد أن الموتى
يرقدون فى سلام .

وفى هذه اللحظة ، فتحت بوابة الحديقة وظهر
من كانا يتجولان عائدین . **فقلت :**

— انهما لا يخشيان شيئا !

وعندما خطا الى الباب وتوقفا ليلقيا نظرة أخيرة
على القمر ، أو بالأحرى على بعضهما البعض فى ضوء
القمر ، شعرت برغبة فى تجنبهما .. فأسرعت مودعا
السيدة دين ، وعبرت من المطبخ وانصرفت ..

وفى طريقى للعودة انعطفت فى اتجاه مقابر
الكنيسة ، فاكتشفت فور تطلعى الأحجار الثلاثة على
قمة المقابر عند المنحدر التالى بمنطقة المستنقعات :

كان القبر الأوسط رمادى اللون تغطى معظمه بالنباتات البرية ، وكان قبر ادجار لنتون مغطى بالعشب فقط ، أما قبر هيثكليف فما يزال أجرد •

وبقيت بجوارهم ، تحت السماء اللطيفة ، وراقبت الحشرات تهيم بين النباتات والزهور البرية • وأنصت الى النسيم الرقيق متنفسا عبر الأعشاب • وتعجبت كيف يتخيل أى شخص عدم الراحة للنائمين تحت هذا التراب الهادى •

I. S. B. N. $\frac{97 / 776}{977 - 01 5263 - 3}$ رقم الإيداع